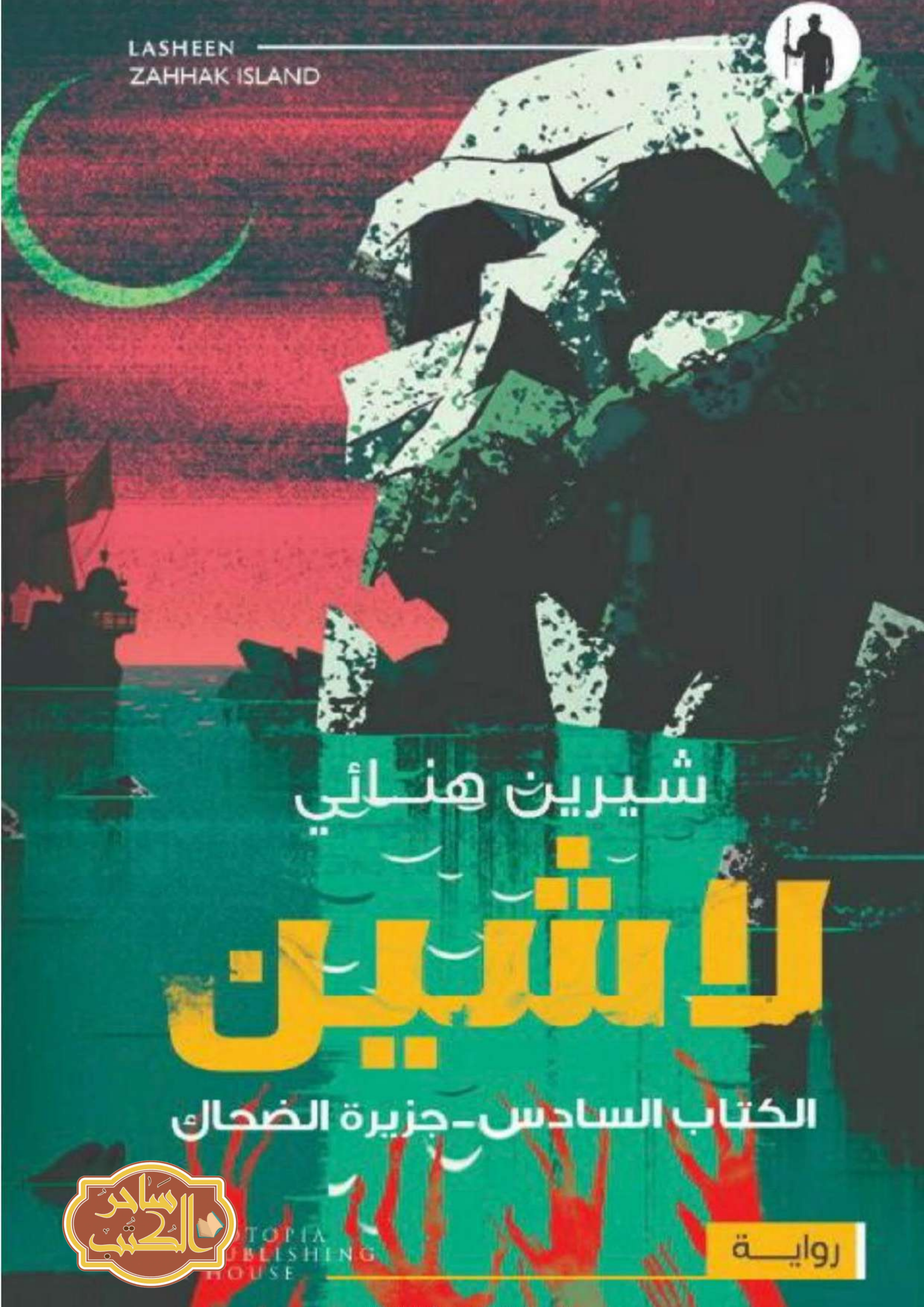

LASHEEN
ZAHHAK ISLAND
شيرين هنائي
لاشين
الكتاب السادس - جزيرة الضحاك
رواية
ساحر الكتب
UTOPIA
PUBLISHING
HOUSE

إلى الأعزاء:

م. أيمن حويرة ونهى عودة.. لكما الفضل الأكبر بعد الله سبحانه وتعالى. أشكركما.

ا. عمرو يسري.. البداية كانت من أوديوهات العزيزة.. شكرًا لك ولها.

الفنان الدكتور محمد خميس.. إيمانك بالشخصية، وأداؤك لها أضافا لها الكثير.

إلى زوجي.. صديقي.. شريكي..

أحبك.

شكر خاص:

لجامعة برشلونة، ولمركز جوزيف بانكس راين، وللجمعية الروحانية البريطانية على جهودهم المستمرة في التعليم ونشر المعرفة.

السيد إد وارن وزوجته السيدة لورين وارن.

الدكتور محمد أحمد خالد توفيق.

مقدمة

أنا.. لاشين.

لا شك أنها الحقيقة الأهم التي يجب عليك استيعابها، إلى جانب كوني الأول، والأخير. ولتحمد الله على هذا. فالعالم لن يتحمل معرفة حقيقة ما مررت أنا به، ولا ما تسببت فيه، ولا ما أصبحت عليه.

أي لاشين آخر لا يُعوَّل عليه، سواءً كان من عائلة الدجَّال الأشهر في طنطا: الشيخ لاشين، أو كان من خارجها. أي لاشينٍ آخر عليه أن يتوارى حتى تنتهي الأزمة التي تسببتُ فيها عمدًا وبلا قصد.

هل يستأهل الأمر أن أحكي؟ لم أُدرك ضرورة ذلك إلا مُتأخرًا، وكأن ما زال بداخلي ما يشفق على البشر ومصيرهم لو ظلوا على جهلهم. وأحيانًا ما أرى أن الجهل نعمة، فلو أن رصاصة خرجت من مسدس لتصيبك بعد كسر من الثانية، فبمَ ستستفيد لو عرفت أنها انطلقت؟ لا وقت للفرار، ولا لصلاة أخيرة.

لكنني سأحكي.. كفعلٍ بشريٍ أخير، ولأنني وعدت سهير زاهر، سأحكي.

الفصل الأول -١-

يناير- ٢٠٢٢

جبل دِمَاوَند- إيران

حين تكون نصف شيطان، فالبحث عن المغارات السحرية في بطون الجبال أمر سهل، أما اقتحامها فالأمر سيكون عسيرًا مهما أوتيت من قوة، لكنه ليس مُستحيلًا على كائن مثلي.

أعتقد أنني حكيت لكم عن مغارة دانيال في جبال الأوراس، وكيف كانت مخفية، لم تظهر لماري/ديهيا إلا بإرادة واختيار المُعلمين الأوراسيين.(1)

لم أنس عدائي لشيطان الرعب، ورحلتي للقضاء على إبليس ذاته، لذا لم أكُف قط عن جمع الأسلحة والتحصينات والقيود التي قد تفيدني في حربي ضدهما.

صعدت الجبل المُغطى بالثلوج بالطريقة البشرية، فأي نشاط شيطاني هناك قد يثير قلق حُراس المغارة، تلك المحبوس فيها واحد من أقوى وأقدم وأغرب صنائع الشيطان.

المفترض حسب الخرائط السحرية التي تصف مكان

المغارة، تفصلني عنها بضعة أمتار. أخرجت من حقيبة ظهري حزام ديهيا، ذاك الذي أخذتْه منها موراخيا(2) بالحيلة أثناء فرارنا كي تُزيل به الرَّصد من حول مملكتها الخفية. ذكروني أن أحكي لكم كيف حصلت على الحزام من موراخيا في وقت لاحق.

وضعت الحزام على الأرض وأدرته كي أزيل الرَّصد عن المغارة فأستطيع دخولها. الحزام يدور ويُحرك الثلوج حوله، يهتز الجبل تحت قدميّ. أنظر أمامي لأرى المغارة جليَّة. رفعت عصا والدي ولم تكن سلاحي الوحيد بالطبع، حقيبتي عامرة بكل ما يُمكِّنني من مجابهة المسخ المُقيد بالداخل وخدمه وحُراسه.

لكن إن كان أهرمان هناك، هل سأستطيع مجابهته حقًا؟

المغارة شاسعة، مُظلمة، فقد كانت المشاعل التي تضيئها مُطفأة. لحسن حظي أنني -كالشياطين- أرى في الظلام، فرأيت على الحوائط لوحات بالرسم الفارسي المميز توضح رسومات لكيانات ذوات أجنحة ترتدي أردية طويلة مربوطة حول خصورهم، ويعتمرون عمامات. رسم آخر لكيانين مُقيدين إلى جبلين، فوقهما كتابة بالفارسية التي تشبه العربية كثيرًا. يجب أن أنقل كل تلك اللوحات إلى بيتي في سيوة وأفحصها بدقة.

دخلت قاعة مُظلمة يتوسطها عرش ذهبي مُزخرف بنقوش الأفاعي. كل شيء مكسو بالثلوج. لا أشعر بوجود أي شياطين هنا.

ماذا حدث؟

هرعت إلى العرش أبحث عما جئت من أجله. أثر احتراق حوله يشي بنشاط شيطاني، لا بفعل ساحرٍ أو جني..

اللعنة.. لقد هرب الضحّاك!

-٢-

الأول من أبريل

سيوة-مصر

ما زلت عاجزًا تمامًا عن استخدام مايكروفون عمارة قابيل، ذلك الذي صنعه للتواصل مع الشياطين، والذي بسببه عبر شيطان الرعب إلى عالمنا ونُفِيَ عالِمٌ الروحانيات المصري إلى عالم الظُّلُمات.

عمارة قابيل هو -لمن لا يذكر أو لم يقرأ أو لم يسمع- هو جد مهاب عمارة، مُقدم برنامج بعد منتصف الليل، وقد حصل الأخير على مايكروفون جدِّه بطريقة غامضة تمامًا -بالنسبة له-؛ وجده عند باب شقته بلا أي رسائل أو إرشادات، وبالطبع لم يكن يعرف عنه شيئًا حتى عرَّفته أنا حين اقتحمت استوديو بث البرنامج وأخذته منه، وعرَّفته حقيقة جدة عمارة باشا قابيل.

في الاستوديو سمعنا صوت عمارة قابيل يحاول الحديث إلى مهاب، ولم نسمع صوته مرةً أخرى. رغم أن منزلي أشبه بمعامل العلماء المخبولين، لا شيء مما أملك أفلح في تشغيل هذا الجهاز الغبي.

كيف لي أن ألقي نظرة إلى داخل عالم الظلمات بدون

جاسوس لي هناك طالما أن جسدي البشري عاجز عن العبور إليه؟ تثير حنقي حاجتي للبشر رغم قوتي التي تُقض مضاجع الشياطين إن كانت لهم مضاجع.

قال لي شيخ حكيم في الماضي أن القوة المفرطة ضعف، ولم أصدقه.. حتى الآن.

مُعضلتي الحالية؛ أين ذهب الضحَّاك؟ مَن هرَّبه ومتى؟ الشيطان الوحيد الذي أعرف أنه قد يكون له صلة بتهريب الضحَّاك، هو الشيطان أهرمان. أما كيف هرب، فليس لي سبيل إلى معرفة الماضي الذي جرى داخل حيز مكان مرصود، لكنني قادر بالطبع على رؤية رحلته إلى حيث فر..

الجزيرة الحمراء..

لكن، إن كنت سأرتحل إلى حيث الضَّحاك، فهل أهرمان في عالمنا الآن؟ هل أنا أهل للسيطرة على شيطان في مقامه دون قيد الضَّحاك السحري؟ هل أنا بالفعل قادر على مجابهة الضحَّاك؟

كيف لي أن أعرف مكان أهرمان الآن وليس لي سبيل إلى داخل عالم الظلمات، ولا حليف بشري إلا عمارة قابيل؟

وإن كان الضحاك قد هرب، فأين قيده؟ لا أجد تفسيرًا سوى أن أهرمان هو من هرَّبه واستولى على القيد، فسلاح

مثل هذا لا يُترك في يد السجين، ولا في المغارة حيث قد يجده السَّحرة المغامرون.

علامات حرق الشياطين حول العرش تشير إلى شيطان من مرتبة عُليا.. أهرمان؟ من غيره؟

كنت زاهدًا تمامًا في إقحام مهاب في خططي، لا لشيء سوى أنه بشري آخر ممن يحوجني إليهم الزمن، وأنا لم أعد أطيق البشر ولا أتحمل ضعفهم. مهاب مُهرج ثرثار مُتظرِّف لكنني مضطر للجوء إليه الآن، ولو مؤقتًا.

أبريل ٢٠٢٢

طنطا

أوقِف سيارتي تحت منزل سهير زاهر في شارع ثروت، وأنظر إلى أعلى لأجد فانوسًا ضخمًا يتدلى من حبل ممدود بين عمارتين. الهواء يُحرك شرائط الزينة اللامعة ورائحة المحشي والملوخية وما لذ من طبخ البيوت يُعيد إليَّ بشريتي دفعة واحدة، فأكاد أفقد وعيي نشوةً.

أنا هنا، في طنطا، مدعو إلى الإفطار كأي بشري آخر. ابتسمت ولمحت سيارة سهير تقف خلف سيارة زوجها القبيحة، المملة كأوتوبيس نهري. أشعر بتواجد شيطان الرعب.. عمر هنا.

***

راحت سهير وابنتها تسعيان بين السفرة والمطبخ، تناولان شريف ومهاب الأطباق والأكواب، ويرصها الشابان كيفما اتفق فوق طاولة السفرة التي لم يعد فيها مكان لملعقة أخرى.

أجلس ومعي أسامة في الصالون المفتوح على حجرة

السفرة، كل منا يشغل أبعد كُرسي عن الآخر. يبدو أنه حاول التأنُّق فارتدى بول أوفر بُنيًّا -شَهد أيامًا أفضل منذ عشرة أعوام على الأقل- تفوح منه رائحة النفتالين.

- أهلًا يا باشمهندس.

- أهلًا يا دكتور..

ظل القط مشموش ينظر لي بعينيه الواسعتين كطبقين أزرقين، وهو يقف أمام حجرة مغلقة بقفل من الخارج مرسوم عليه رمز مكون من ثلاثة دوائر متداخلة، رسمته عليه أمه بطلاء الأظفار بناء على اقتراحي بعد أن أصرت سهير أن تدعوني على الإفطار في ثاني أيام شهر رمضان.

- قلت يا باشمهندس أنك كنت في إيران.

- الحقيقة أنا لم أقل لك. قلت لمهاب ومدام سهير.

- سهير حكت لي، هي لا تخفي عني شيئًا. أنت تبحث عن حزام الـ.. الضحاك؟

- لقد وعدت مدام سهير بعد ما حدث لعُمر نهاية العام الماضي أنني سأنقذه.(3)

- تقصد ستُصحح ما فعلت فيه.

- مما يتضمن إنقاذه.

- أتؤمن بالزرادشتية؟

- كلا. أنا مسلم.

- أتؤمن بالمعبود أُهرا مازدا؟

- نفس الإجابة السابقة.

- لمَ تعتقد إذًا أن للضحاك وجودًا؟

- وجود الضحاك لا يُثبت وجود معبودات وثنية، لكنه يثبت وجود شياطين. ألا تؤمن بوجود شياطين؟

سألته وأنا أنظر نحو باب الحجرة المغلق. لم يُجِب، لكنه نادى سهير يسألها عن طعام القط.

صدح صوت القرآن من المسجد القريب، فاستأذنت سهير أن أتوضأ. ابتسمت وأشارت لي إلى دورة المياه. تعرفون معاناتي مع الوضوء، وغضب شياطيني من هذا الطقس الديني، ناهيك عما يحدث لي وأنا أصلي. حين خرجت من دورة المياه مُحمر الوجه غارقًا في العرق البارد، وجدت أسامة يضع طبق طعام القط. نظر لي واضطرب، ثم أشار لي إلى آخر الرواق وقال:

- صلِّ في حجرة شريف، لقد قرأت كتابك الثاني(4)..

حين انطلق الأذان، استقبلت القبلة ووقفت أردد ما يقول المؤذن. رائحة الطعام وثرثرة العائلة في الخارج.. مواء القط الهادئ.. أصوات الـ«بومب» في الشارع وصياح الصبية.. الهدوء والسكينة..

الحقيقة أنني كنت أكثر هدوءًا وأقل توترًا من أي وقت مضى. شياطيني غاضبة حانقة وتُقلص عضلاتي كي لا أركع أو أسجد، تغلق حنجرتي.. كل هذا مُعتاد، لكن لأول مرة أشعر أن.. روحي؟ روحي تتلو القرآن وتُسبِّح وتركع وتسجد..

أنا خفيف للغاية كريشة تطير جوار السحب..

أنا بشري..

***

يبدو أن صلاتي لم تمر كما كنت أظن، فرأيت شريف يعيد تعليق بعض اللوحات التي سقطت عن الحوائط، ورانيا تركع لتُجفف ما انقلب من صحون الملوخية والحساء على الأرض. تعرفون تلك النشاطات الشيطانية التي تصاحب غضبهم طبعًا.

لكن الأعين التي تلاقت على وجهي لم تلُمني، والأفواه استقبلتني بابتسامة، وراحت تُردد: «تقبَّل الله»، و«حرمًا»..

جلست سهير إلى الطاولة جوار أسامة، بينما أجلسني شريف عند طرف الطاولة المقابل لأبيه. كانت سهير ما زالت ترتدي الإسدال وقد احمرت وجنتاها انفعالًا.

قال مهاب:

- ياه.. من كان يتصور منذ عام أن نجتمع كلنا على طاولة واحدة؟ اليوم نتذوق طبخ الأستاذة سهير، والذي أتمنى ألا يكون له علاقة بالماورائيات.

ضحكت سهير وقالت:

- المهم أن تغسل يديك وفمك جيدًا بعد الأكل، فأنت لن تأمن شر الشمَّامة!

- الشمامة ورائي حتى في رمضان!

ضحك أسامة ضحكته الوقور، ثم سألني:

- على ذكر الشمامة، ألا تُقيد الشياطين في رمضان؟

- لا أعرف، لا سبيل لي لرؤية عالمهم، ولست متبحرًا في الدين كي أناقش أمورًا كهذه. لكن شياطيني موجودة، وأنا موجود.

سأل شريف:

- وأهرمان؟ ذلك الذي تبحث عنه؟

- لو أن أهرمان هو من هرَّب الضحاك، فهو في عالم البشر يحتل جسدًا بشريًا، لا في عالم الظلمات. هو مثلي الآن ومثل..

- عُمر؟

- أجل. مثل شيطان الرعب في جسد عمر.

أشارت سهير لشريف كي يضع الدجاج في طبقي، ففعل. سألني أسامة في جدية كأنما هو راغب في كبح شهيتي بأي طريقة:

- أنت تريد تشغيل هذا المايكروفون الذي أدى إلى نفي عمارة إلى عالم الظلمات؟

- أجل.

- وأدى إلى عبور شيطان الرعب!

- هذا صحيح.

- ويوجد احتمال ولو ضعيف أن يُنفى مهاب مثل جده أو أن يعبر شيطان آخر؟

- وارِد.

- كل هذا من أجل حزام سحري؟

- قيد الضحاك المصنوع من جلد أسد سماوي، هذا ليس حزامًا سحريًا عاديًا.

- تظن أن هذا الحزام قادر على تقييد شيطان الرعب؟

- أجل.

- شيطان الرعب الذي يسكن جسد عمر؟

- لا أعرف لماذا تُكرر هذه البدهيات طالما نعرفها أنا وأنت.

- أنا فقط لا أستطيع فهم كل تلك التعقيدات. كيف ستُخرج شيطان الرعب من جسد غُمر؟

- هذه معلومة لن تُفيدك.

- وإن رفضنا مساعدتك في تشغيل المايكروفون؟

- هل تُدرك خطورة تحرر الضَّحاك؟

سأل مهاب وفمه محشو بالطعام:

- الطعام لا يُعلى عليه يا أستاذة. لا بد أن نُضيف فقرة طهي إلى البرنامج. قل لي يا لاشين، من هذا الضحاك أصلًا. شيطان؟

- ليس شيطانًا، والخطورة لا تكمُن فيه هو، بل في صانعه.

أهرمان.

قاطعنا أسامة وقد لاحظت أنه لم يتناول لقمة منذ جلسنا:

- لاشين، أشعر أنك محبوس في دائرة حبس شيطان وتحرير شيطان آخر في المقابل. كفى عبثًا بعالم الظلمات هذا، ستدمر عالمنا.

بشكل ما، لديه حق. أنا من تسببت في كل هذا، أنا المسخ الذي تسعى خلفه المسوخ ويسعى خلفهم. لو مُت لانتهى الأمر.. ربما.. لكنني عاجز عن الموت، وطالما أنني ملعون بالحياة فسأقاتل وسأنتقم.

- أنت تلومني على ما حدث لحفيدك، ثم تستنكر عليَّ أن أحاول تصحيح خطئي؟ أنت من تريد حبسي في دائرة تأنيب الضمير والحرمان من الراحة.

- وهل للشياطين ضمير؟

صمتُّ وكتمت إجابتي. لا أريد إفساد الإفطار عليهم. رفعت رانيا عينيها عن طبقها -لأول مرة تتحدث منذ جئت- وغمغمت وهي تنظر نحو باب حجرتها الموصد:

- هل ترى عمر شيطانًا حقًا يا أبي؟

- رانيا حبيبتي، أنا..

- لو كبُر وظل شيطان الرعب يسكنه، ستعامله مثل مهندس لاشين؟ ستكرهه؟ ستراه بلا ضمير ولا يستحق فرصة أخرى؟

- كلا! عمر ليس...

لم يُكمل عبارته، فقلت دون اكتراث:

- عمر ليس مثلي يا مدام رانيا، عمر لديه أم وأب وعائلة تحبه، ولن يتركوه ليصير مثلي أبدًا.

دمعت عينا سهير وقد توقفت يدها التي تحمل الملعقة في الهواء منذ بدأنا هذا الحديث الشائك. أخيرًا صاحت:

- ألن تأكلوا؟! لمن طبخت إذًا؟

بكت، فطوّق أسامة كتفيها، وقام شريف يقبِّل رأسها. داعب مهاب أنفه حرجًا وهو يحاول ابتلاع الرقاق في فمه وغمغم وهو ينظر لي:

- دراما أكثر من اللازم.

قلت وأنا أمزق الدجاجة بأسناني، فقد كنت جائعًا ولم آكل منذ تسعة أيام حرفيًا:

- هذا دجاج بلدي! أتعرف كم لي من الوقت لم أذقه؟

كان أسامة ينظر لي حانقًا، فأشرت له بفخذ الدجاجة مبتسمًا، ثم فتكت به -الفخذ لا أسامة وإن كنت أتمنى العكس- متبوعًا بصحن الملوخية.

-٤-

جلسنا في الشرفة الواسعة بعد أن عدنا من صلاة التراويح. انتظرتهم في الخارج طبعًا فلن أستطيع أن أصلي بحالتي هذه في جماعة.

كانت الأجواء قد هدأت، وجلست رانيا جوار شريف على طُنفسة كبيرة «بين باج» وراحت تتابع شيئًا على التلفاز عبر باب الشرفة الزجاجي. سألت سهير:

- رانيا، عمر بخير؟

- لم يستيقظ منذ جاء مهندس لاشين. لو سمحت، هل شيطان الرعب قادر على سماع ما نقول؟

أجبتها وقد تلاقت الأعين على وجهي:

- أجل. يسمع. لا تقلقي، لن يهاجمنا، فخطته هي ألا يغادر جسد عمر مهما كانت الظروف. هو لا يؤمن بقدرتي على التخلص منه، يعاملني من منطلق: دعه يلعب.

سأل مهاب وهو يأكل آخر ملعقة من طبق قمر الدين:

- أفضل قمر الدين أكلته في حياتي! قُل لي يا لاشين، ما حكاية هذا الضحاك؟ أعتقد أن هناك أحد التابعين اسمه الضحاك.. على ما أتذكر.

- لا أقصد بالطبع الضحاك بن مزاحم، أحد رواة الأحاديث النبوية. أقصد الملك الضحاك، أو من عُرِّب اسمه من إز دهاك الفارسية إلى الضحاك العربية. هذه حكاية طويلة تليق بأجواء ألف ليلة وليلة.

- طالما أنها حكاية طويلة، هل سأكون وقحًا يا أستاذة لو طلبت طبق قمر الدين آخر؟

قلت وأنا أنظر نحو أسامة الذي كان ينفث الدخان من أذنيه:

- طبقين لو سمحتِ!

هزَّت سهير رأسها في حماس، وبعد أن عادت بصحفة عليها ستة أطباق من قمر الدين، بدأت أحكي..

ما قبل الانشقاق

الشاهنامه

ملحمة الفرس الكبرى(5)

في البدء، ملك العالم كله ملك يدعى جيومرت، وقد خصه الله بعناية فائقة، فالإضافة إلى قوته وشهامته، حباه جمال الوجه وبهاء الطلعة، وجعل مركز إقامته في الجبال، ومنه انتشرت الحضارة إلى العالم.

ارتدى جيومرت جلد النمر، فكان سباقًا في هذه البدعة لأن الثياب كالطعام تمامًا، لم تكن قد اكتشفت بعد. كان الجميع -الإنس والجن- يخضعون لمشيئته، فازداد عظمة وجبروتًا مما أدى إلى انبثاق الديانة.

وكان لجيومرت الملك ابن يدعى سيامك، أحبه حبًا جمًا، ورباه تربية تليق بالملوك، محافظًا عليه، مُبعدًا إياه عن كل أعمال السحر والجن. فلما نشأ وظهرت منه بوادر السلطنة، ظهر له عدو من الجن أخذ يتتبع تطوراته وتنقلاته، قاصدًا إهلاكه. فلما عرف بذلك قرر محاربة هذا الجني، فنزل لملاقاته لابسًا جلد النمر، لكن الجني سرعان ما أنشب مخالبه في صدر سيامك، فأرداه قتيلًا غير عابئ بجمال منظره، ولا بجلال طلعته، ولا بملك أبيه الواسع.

***

قال مهاب وقد لاحظ أنني لا آكل:

- كُل وأنت تحكي. وما مشكلة هذا الجني؟

- تخلط النصوص القديمة بين الجن والشياطين. كان هذا شيطانًا أراد إفساد هذا الملك العظيم، ولا يفسد العالم إلا بفساد ملوكه.

- وماذا حدث؟

- تولى ابن سيامك الحكم، اسمه أوشهنج، قاد جيشًا مكونًا من الإنس والجن والحيوانات، وانتقم من الجني وقتله. مات جيومرت بعد ثلاثين عامًا من المُلك، وتولى أوشهنج البلاد من بعده..

***

الشاهنامه

ملحمة الفُرس الكُبرى

ذات يوم، بينما كان أوشهنج عند سفح أحد الجبال، ظهرت له حية، عيناها كَبِرَك الدم، ولهيبها دخان أسود يغطي العالم بدُكنته. تناول حجرًا ورماها به لدرء خطرها، فاصطدم الحجر بالجبل من قوة الضربة، فأشعل نيرانًا متوهجة، فأفلتت الحية وكانت النار.

سُر أوشهنج باكتشافه، فسجد شاكرًا ربه على تلك النعمة مُتخذًا النار قِبلة، وهذا سبب تعظيم النار عند الفرس.

***

- والحية هي الشيطان، وبسببها اكتشف الإنسان النار، وبها حيا، وبها قتل. بسبب اكتشاف النار، استخرج شعب أوشهانج

الحديد من الحجر، وصنعوا الفؤوس والحراب، وشقوا الصحاري وبذروا البذور واصطادوا الحيوانات وارتدوا جلودها ملابس. لكن سرعان ما أتى الأجل ومات أوشهنج، وتولي ابنه طهمورت الحُكم، واستمرت اكتشافاته حتى قيل أنه أول من سجن العفاريت والجن والشياطين.

قال مهاب وهو يبحث في الصحفة عن شيء آخر يؤكَل:

- طهمورت، أول من سجن الشياطين.. إممم.. لو كان حقيقيًا لصار منافسًا لك.

- أنا آكل الشياطين، هو يحبسها.

- بالهناء والشفاء.. وماذا حدث؟ بالطبع غضب الجن الذين يغضبون بسبب أي ذبابة تُقتل عندهم.

- حاربوه جميعًا، وقهرهم جميعًا وأسرهم. ولم يجدوا حلًا سوى فدية أنفسهم، فعلموه الكتابة بثلاثين لغة مختلفة مقابل إطلاق سراحهم، ومن هنا جاءت الكتابة.

سأل شريف في اهتمام:

- أين الضحاك في القصة؟

- الصبر. تولى من بعد طهمورَت ابنه جمشيذ، الذي عاد وسخر الجن مرة أخرى، واكمل اكتشاف البناء والحرف

والطب، واخترع لنفسه سريرًا مُرصعًا بالجواهر ينقله طائرًا على كل الأرض، محمولًا على أكتاف الجن. فلما وصل إلى كل هذا استكبر وطغا. انشق ملوك الفرس عن طاعة ملكهم الأكبر ولجأوا إلى الضحاك كي ينقذهم من ظلم جمشيذ، فما كان منه إلا أنه نصب نفسه ملكًا عليهم.

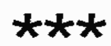
- هذا متوقَّع..

- الضحاك تبع جمشيذ من مهرب إلى مهرب حتى قتله شقًا بالمناشير بعد حكم دام سبعمائة سنة.

سألت رانيا وقد نجحت القصة في لفت انتباهها بعيدًا عن المسلسل في التلفاز:

- وهل اسمه الضحاك فعلًا؟ اسم غريب على الفرس..

- هذا لقبه الفارسي ويعني ذا الحيَّات، أما اسمه فهو بيورساب -أي صاحب العشرة آلاف فرس- بن مرداس ملك العرب الذي عرف بصلاحه وحكمته، وكان يملك آلاف الخيل المُسرجة بسروج الذهب والفضة، وكان لديه خادم من الشياطين يُدعى..



الشاهنامه

ملحمة الفرس الكُبرى

.. إبليس، وضع نفسه في هيئة خادم شاب ووضع نفسه في خدمة الملك. لما نال ثقته بخدماته المُرضية استطاع أن يفرض رأيه، وأن يُغري الملك الشاب باستلام الحكم من والده بقتله، وفرض سيطرته على العرب أجمعين.

تردد الضحاك في بادئ الأمر، فكيف يقتل والده دون أن يُجازى على فعلته؟ أما إبليس فظل يوسوس للضحاك حتى وافق هذا الأخير على قتل والده.

***

شرق مهاب وظل يسعل. ضربته على ظهره بخفة فهوى بوجهه على الطاولة الصغيرة أمامنا. أظن ضربتي كانت أقوى من اللازم، لكن قطعة الكُنافة قفزت من فمه. ناولته سهير كوب ماء فجرعه، ثم قال وهو يستعيد أنفاسه:

- لا تلمسني مرة أخرى، ولا حتى على سبيل المساعدة. يدك ثقيلة كالمِرزبّة يا أخي. تقول إبليس؟

أخيرًا قرر أسامة أن يدلو بدلوه ويتظاهر بمعرفة كل شيء، فقال وهو يهز رأسه رفضًا لطبق الكنافة التي اشتريتها أنا:

- شكرًا يا سهير، شبعت. يجب أن تعرف يا مهاب أن

الشاهنامه تستند إلى أساطير فارسية عتيقة، وإلى كتاب الأبستاق أو الأڤستا، الكتاب الذي يؤمن به أتباع زراديشت، والمذكور فيه أهرمان أو من أطلقوا عليه صفة مُفسد العقول؛ أنجرا مَينيو، وهو عدو أُهرا مازدا، معبودهم الخالق. لكن الفردوسي -مؤلف الشاهنامه- أضفى على الأساطير طابعًا إسلاميًا، فصار الملوك الوثنيون يركعون لله رب العالمين، وصارت مخلوقات الظلام جنًا، وصار أهرمان إبليس.

- فهمت. لكنك مُتأكد من أن أهرمان هذا ليس إبليس.

- بالتأكيد.

قلت مُستعيدًا دفة الحديث:

- أهرمان هو أحد ملوك الشياطين، ولم يكن لأُهرا مازدا وجود من الأساس كما نعرف جميعًا. أهرمان هو مُفسد عقول الملوك يا مهاب.

-أكمل.. أنا في انتظار ظهور الملك كهلان وعروسة البحور في أي لحظة.

- أؤكد لك أن الحكاية أكثر ظُلمة مما تظن. حفر الضحاك فخًا لأبيه وغطاه بورق الشجر، فسقط فيه الأب وتولى الضحاك الحكم. عاد أهرمان وظهر مرة أخرى للضحاك بعد

توليه الحكم على هيئة طباخ ماهر، طبخ لها ما خلب لُبه، واعتمد على اللحوم بعد أن كان الطعام الشائع نباتيًا، فأعجب الملك هذا التغيير وسأل الطباخ أن يطلب ما يشاء مكافأة على إبداعاته.

- أها.. أفهم تأثير الطعام هذا، لو كنت مكانه لعينت الطاهي وزيرًا. هل طلب مُلكه؟

- الشياطين لا تطلب أبدًا السيطرة بشكل مباشر، يعشقون تحريك البشر عن بُعد، هذه هي تسليتهم الأبدية.

- ماذا طلب إذًا؟

- طلب أن يُقبله على كتفيه.

نظر لي مهاب رافعًا حاجبًا مُتعجبًا، فأردفت:

- لا ترتب، هذه كانت علامة تقدير وإجلال. وافق الضحاك بالطبع على منحه هذا الشرف..

***

الشاهنامه

ملحمة ملوك الفرس

.. وتقدم إبليس مقبلًا مِنكبيه، فما أن فعل ذلك حتى غاب

عن الأبصار، واختفى في الأرض، وظهر من كل منكب حية سوداء أرعبت الملك والجمع وأفزعتهم.

حضر الأطباء والحكماء، ونصحوا الملك بقطع المنكبين، فلما قُطعتا نبتتا في الحال كما كانتا، وظلتا على ذلك حتى عجز كل الأطباء عن مداواة هذا الداء، ثم ظهر إبليس على هيئة طبيب وقال للملك: إنه قضاء أجراه الله عليك، ولا بد من تربية الحيتين وإطعامهما من أدمغة الناس حتى تستريح، فإن فعلت قل اضطرابهما وخف أذاهما.

وكان مراده من ذلك كله أن يبسط الملك يده في قتل خلق الله وسفك دمائهم، حتى يخلص العالم من كل أبنائه.

***

قال مهاب:

- سؤال لا علاقة بالأحداث. لن أنام لو ظللت أحاول تذكُّر كل تلك الأسماء العجيبة. هل سنضطر لتدوينها؟

أجبته:

- لا تقلق.. كل ما عليك تذكره هو الشيطان أهرمان والضحاك، وربما أفريدون قاتله فقط.

نظرت إلى ساعتي فوجدت الوقت قد تأخر كثيرًا.

- أعتقد أنني سأنصرف الآن، الساعة تجاوزت الحادية عشرة. يجب أن أوصل مهاب إلى المحلة كذلك.

قال شريف وهو يقف مُستندًا على سور الشرفة:

- انتظر قليلًا بعد، مَن ينام مُبكرًا في رمضان؟

سدد أسامة إليه نظرة حانقة وقال:

- البعض يحب النوم قليلًا قبل السحور.

- يمكنك أن تنام قليلًا وسأوقظك قبل السحور.

- لا يصح أن أنام في وجود غرباء.. أقصد، ضيوف. ثم ربما يود مهاب النوم، أليس كذلك يا مهاب؟

قال مهاب وهو يشرب القهوة:

- من سيود النوم وفي منتصف قصة كهذه؟

قال أسامة بهدوء:

- حسنًا يا مهندس لاشين، لدي سؤال قبل أن تنصرف.

- تفضل.

- ماذا تريد منا؟ أعني ما دورنا في هذه القصة الخيالية غير المُحكمة؟

- أريد أن ألقي نظر إلى داخل عالم الظلمات للتأكد من أن أهرمان هو من حرر الضحاك.

- ماذا لو أنك قتلت الضحاك ونسيت أمر أهرمان هذا؟

- إن لم يكن أهرمان هو من حرره، فقد فعلها شيطان آخر، ونحن لا نريد أن تعبر الشياطين إلى عالم البشر هكذا دون حساب فتعاون شيطان الرعب على التمكين منه. ثمة شيطان أراد سرقة حزام الضحاك كي لا أقيد أنا به شيطان الرعب. من هو؟ على الأغلب أهرمان.

- ولماذا تظنه أهرمان؟

- سيتطلب هذا أن أكمل حكايتي، ويبدو أنك تريد أن تنام.

- هذا صحيح. نعود إلى سؤالي. كيف سنساعدك على إلقاء نظرة إلى عالم الظلمات؟

قالت سهير في حماس:

- هل يمكن أن تفتح بوابة عالم الظلمات وتدعني أصور لك ما يحدث بالداخل؟

صاح أسامة دون أن يُدرك مدى ارتفاع صوته:

- سهير؟!

قلتُ مُلطفًا الأجواء:

- لن يفيد هذا. أريد من يتحرك داخل عالم الظلمات، جاسوسًا بمعنى أدق، شخصًا يستطيع معرفة ما يجري هناك دون أن يثير الشك، ونحن لدينا بالفعل بشري يحيا في عالم الظلمات، وقد رأيناه حين عبر الفارس الأبيض عائدًا إلى عالمه وعاد الأطفال الذين أسرهم جبر من هناك.(6)

غمغم مهاب:

- جدي، عمارة قابيل.

- هذا صحيح. لكنه لا يتواصل معي رغم أنني متأكد أن المايكروفون يعمل جيدًا. هل يرفض الحديث إليَّ أم أن هناك مكروهًا حدث له؟

سأل شريف في اهتمام وهو يلمِّح إلى أمر فطنته على الفور:

- لكن المايكروفون ليس وسيلتك الوحيدة إلى عالم الظلمات.

- شريف، أنا لا أريد أن..

قال أسامة بلهجة قاطعة وهو يقوم واقفًا:

- لا أعتقد أن حل مشكلتك لدى أي من أفراد هذه

الأسرة. وبشكل ودي لا أنصحك يا مهاب أن تحاول تشغيل المايكروفون، فلا أحد يعرف مغبة فعلة كهذه. شرفت يا باشمهندس لاشين، أنرت المنزل يا مهاب.. هذا بيتك، وسأنتظرك الخميس القادم مع الوالدة وإخوتك، وسأدعو حسن وجدته كذلك. أعدك أن يكون إفطارًا عائليًا دافئًا هذه المرة.

قمت وهززت رأسي مُحييًا سهير ثم رانيا وقلت:

- شكرًا لحسن استضافتكما، ولم آكل أشهى من طبخكما، لقد ذكرني بطبخ أمي فعلًا. أتعبتكما.

ثم سلّمت على شريف، فقال وهو يصافحني:

- سأحادثك لاحقًا. سلامي لمهدي أبركان إن قابلته.

نظر شريف إلى والده نظرة مُتحدية، فلمحت عيني سهير تدمعان مرة أخرى. عانق شريف مهاب مع الكثير من التربيت على الظهر:

- أصدقائي يريدون توقيعك يا مهاب وأنت يا لاشين على الكتب. لنتسحر سويًا يومًا ونقابلهم.

قبل أن أخرج أنا ومهاب من باب الشقة، رأيت أسامة ما زال يقف في الشرفة ينظر إلى الشارع، وسهير جالسة تغطي

وجهها بكفيها، أما رانيا فكانت تنظر لي نظرة أملٍ..

لكن، هل هناك حقًا أمل؟



الفصل الثاني -١-

أبريل ٢٠٢٢

المحلَّة

يقضي مهاب شهر رمضان في منزل عائلته بالمحلة، لذا فقد عُدنا رأسًا إليه ووصلنا في الواحدة بعد منتصف الليل. صعد مهاب لوالدته في شقة الطابق الأول وأخبرها أنه برفقه صديق له ممن يعملون في الإذاعة، وهو راغب في معاينة القبو ليرى إن كان يصلح لتحويله إلى ستوديو صوت. أغلق الباب علينا مانعًا أيًّا من إخوته من مقابلتي، أتفهم هذا بالطبع ولا يُغضبني، هذا حقه.

ظن مهاب أن تجربة المايكروفون في المكان الذي اختفى فيه جده وعبر منه شيطان الرعب قد يُفيد، أنا شخصيًا لا أجده رأيًا وجيهًا، لكن ربما يفرق وجود مهاب معي هذه المرة.

حاولنا تكرار أجواء ستوديو البث الذي تحدَّث عمارة من قبل خلال سماعاته، أوصلناه بمُكثف موجات راديو وبسماعات خارجية وجلسنا جواره على كُرسيين خشبيين.

- لن يفيد هذا يا مهاب. كان الأفضل محاولة التواصل من منزلي، وبأجهزة الصوت المُتطورة لدي.

- وما أدراك أننا لن نفلح؟

- لقد جربت من قبل.

- هل تسللت إلى قبو منزلي؟!

- عشرات المرات.

- كيف تسمح لنفسك؟!

- أتعرف كم شيطانًا وجنيًا يدخل إلى حجرة نومك كل يوم وأنت لا تدري شيئًا؟ اعتبرني منهم.

- لكن..

خطرت ببالي فكرة، فسألته مُقاطعًا:

- مهاب.. متى تكلم جدك معك آخر مرة؟

- لم أسمع صوته إلا مرة واحدة، في الستوديو يوم اقتحمته علينا.

- هذا صحيح.. حين اقتحمته عليكم.

صمتُّ لثوانٍ، ثم قمت أطوق رقبة مهاب من الخلف وأضغط عليها حتى ازرق وجهه وراح يلهث ويضرب الأرض بساقيه.

لا أنكر أن شياطيني كانت مُنتشية للغاية وهي تشعر بالوعي يغادر جسد مهاب. أما أنا، فلم أكن أشعر بشيء مُحدد، فقط كنت أنصت إلى أي صوت غريب. مرت دقيقة ونصف ولم يحدث أي شيء. اللعنة..

أطلقت رقبة مهاب، فسقط أرضًا. أسمع نبضه وأعرف أنه بخير. ضغطت بظفري أسفل ظفر إبهامه فشهق وتكوَّر على نفسه ممسكًا برقبته. لحظات أمضاها في سعالٍ مُستمر قبل أن يُدرك ما فعلته به. قام واقفًا أمامي وسمعت هدير الدماء في عروقه. كان غاضبًا، بل حانقًا.

دفعني بقوة فتراجعت خطوة للخلف. تركته يدفعني وهو يسبني حتى لمست الحائط بظهري.

- ما بك؟ هه؟ لماذا تصر على تدمير أي رابط إنساني بيننا؟ ملعون أنت وشياطينك. يكفيني هذا!

- كيف كنت سأضغط على جدك إن كان يسمعنا ما لم يقتنع أنك في خطر؟ هذا ما أجبره على التواصل معنا في الستوديو!

- ماذا سينقص من غرورك الشيطاني اللعين لو كنت قد اتفقت معي قبل أن تخنقني؟ ماذا سيحدث لو كنت حذرتني كبقية خلق الله؟

- ماذا لو لم تقنعه تمثيليتنا؟! أنا لن أقتلك دون سبب على الأقل!

- سُحقًا لك يا لاشين..

دَوت طرقات على باب القبو ثم صوت مراهق يتساءل:

- مهاب؟ هل أنت بخير؟

- بخير.. ارحل الآن يا عبد الرحمن ولا تنزل قبل أن أخبرك.

- حسنًا. أمي تسأل فقط، ألن تتناولا السحور؟

تغيرت ملامح مهاب فجأة إلى الدهشة. مسح وجهه بكفه وقال بهدوء:

- ليس الآن. اصعد إلى الشقة لو سمحت.

جلس مهاب على كرسيه مرة أخرى وهتف دون أن ينظر إليّ:

- ما الحلول الأخرى المُقترحة؟ أرى أن شريف كان لديه اقتراح وأنت أسكته.

- كان شريف سيقترح الزهوريين.(7)

- مهدي أبركان؟

- هو يعرف أنني لن أتعاون مع مهدي بعد ما خدعته مؤخرًا.

شريف يريد أن يتطوع هو بالذهاب إلى عالم الظلمات.

ربما من لم يتابع برنامج بعد منتصف الليل لا يعرف أن مهدي أبركان قد اتصل بشريف على الهواء وحكى له حكايته، ثم أخبره أنه -شريف نفسه- زوهري، وهو حفيد الشيخ زاهر، الزوهري مُريد الصالحين، وهي مرتبة عُليا نادرة من الزوهريين وهم قادرون على التنقل بين عالم البشر وعالم الجن وعالم الظلمات، ومنهم من يتوسط بين المخلوقات الثلاثة لإبرام التحالفات أو تبادل الأسرى أو حل النزاعات.

- لن أغامر بشريف أبدًا في عالم كهذا، لا أعرف أي شيء عنه، كما أنني لا أريد أن يتواصل شريف مع أبركان أو يتدرب على يديه، فمهدي لا يريد سوى ضمه إلى جيش ديهيا لا أكثر. مهدي لا يفعل أي شيء إلا لمصلحة ديهيا.

- أفهم يا لاشين.. أفهم.. ثم أنه لن يذهب إلى عالم الظلمات ويهتف: السلام عليكم يا رجال، أين أهرمان؟ لكن ألا يمكنه البحث عن جدي هناك فيساعده؟

- أنت أجبت سؤالك منذ ثوانٍ. هل سيسأل الشياطين أين عمارة قابيل؟

- عُدنا لمشكلتنا.. ما الحلول الأخرى؟

- ربما لو بحثت عن ممسوس حديثًا واستجوبت الشيطان

بداخله عن مكان أهرمان؟

- وهل تستطيع فعل ذلك؟

- سأبحث، لكني لا أعرف أين سأجده من الأساس، فمنذ فعلتي والتهامي للشياطين، وقد توقَّفت الأبالسة عن استخدام طريقة عهد الدجالين في العبور إلى عالمنا، وصارت أعداد الممسوسين في تناقص. بوجود شيطان الرعب هنا وعدد من أمرائه، فلا يوجد سبب لإعادة استخدام عهد الدجالين مرة أخرى، على الأقل مؤقتًا.

كأنما تذكَّر مهاب شيئًا هتف:

- كيف تعرفون أماكن المغارات والمحبوسين فيها؟ أهناك نشرات توزع على السحرة بآخر التطورات؟

- كلا. يغير السَّحرة على بعضهم البعض ويسرقون كُتبهم ومذكراتهم، لذا يُشفر أغلب السحرة ما يكتبون.

- وكيف تعرف أنت المعلومات المُشفرة؟

- أنا ساحر يعيش في القرن الحادي والعشرين يا صغيري. ساحر يحارب الشياطين بالكهرباء والطاقة المغناطيسية. بالطبع أستخدم برامج فك شفرات حصلت عليها من معامل رياضيات مُتطورة في الولايات المُتحدة.

- سرقتها تقصد؟

- سرقتها. ما الضير في ذلك؟ هم لن يسمحوا لي بشرائها أو استعارتها عمومًا.

- والحزام الذي تريده، ماذا لو كان مع أهرمان وليس مع الضحاك؟

- المشكلة الحالية هي الضحاك. لو وصلت إليه وتخلصت منه، سأحرم أهرمان من دُميته وسيزول خطرهما على البشرية، أما الحزام فلو كان مع أهرمان، فقد ابتعد عن طائلتي للأسف.. مؤقتًا. هل فهمت كيف تشعبت المشكلة؟

- أجل.. أنت تريد الحزام، وتريد التخلص من الضحاك في نفس الوقت، لكن كيف ستتخلص منه؟! هل لديك سلاحًا ضده؟

- الحقيقة يا مهاب أنا ذهبت إلى المغارة كي أراه، وأعرف طبيعته وطبيعة حراسته، لكنني لم أكن لأفك وثاقه وآخذ الحزام دون أن يكون لدي ما يقتله أو يقيده.

- أنت ذهبت في رحلة استكشافية إذًا..

سمعت صوت قدمين تنزلان على الدرجات بالخارج مرة أخرى، ثم صوت طرقات متبوعة بـ:

- مهاب.. جئتكم بالسحور يا بني.

زفر مهاب ثم قام ليفتح، فرأيت سيدة طويلة ترتدي خمارًا مما تصلي به النساء في المنازل، وتحته جلباب قطيفة كُحلي.

- السلام عليكم يا بني. لُقمة بسيطة. لا تكسفني.

- شكرًا يا أمي، لا تتعبي نفسك.

- لم أطبخ شيئًا زيادة أقسم بالله يا مهاب. قل لي هل أعجب صديقك القبو؟

قلت وأنا أتناول منها الصحفة وأضعها على الأرض، ولم تغب عليّ أن ألاحظ نظرتها للسماعات وأجهزة الاستقبال. قلت لها:

- شكرًا يا سيدتي. مكان جيد وهادئ.

- كل هذه الرطوبة التي تراها ستختفي بمجرد أن تدهن الحوائط. وهذا الأسود أثر حريق قديم، لكن لا تقلق لم يؤثر على الأساسات في شيء.

- أفهم بالطبع.

- مهاب لا يسكن هنا، وربما وجود ستوديو و«رِجل» في المنزل ستمنع عنا اللصوص وتونسنا.

قال مهاب وهو يطوق كتفيها ويمنعها من الاقتراب مني أكثر.

- لديك حق يا أمي. هيا تناولي سحورك ولا تنسي الدواء.

همست والدة مهاب له، لكنني قرأت شفتيها:

- الجو بارد جدًا هنا، وأشعر بـ.. لا أعرف. شغل قرآن.. أليس هذا راديو؟

- بلى يا أمي، راديو.. لا تقلقي.

كانت السيدة تشكو من أثر وجودي لا أكثر، لكن يبدو أن براءتها الشديدة منعتها من ربط هذا الشعور بي، بل ومنعتها من التأثر به إلى درجة الفرار.

رحلت بعد أن وعدتنا بالشاي بعد السحور. أشار مهاب إلى الأرض حيث الصحفة في استسلام وقال:

- كُل.

- سآكل بالطبع. هذا زبادي منزلي!

- لاشين. هذا عيش وملح.. أنت تعرف معنى العيش والملح، ولا أعرف إن كنت تؤمن بما وراءه، لكنني بعد أن آكل معك لن أخونك حتى إن خُنتني. طعام والدتي من أغلى ما أملك في

حياتي، ولو كان الأمر بيدي، ما قدمته لك بعدما فعلت معي منذ قليل. لكنك ستأكل طعام أمي، وربما ستقتل ابنها في يوم من الأيام، لكن ابنها -الأحمق- لن يخونك.

فقدت جزءًا من شهيتي وشعرت بوخز خلف عينيّ، بالطبع ليست دموعًا، غالبًا هذا أثر قلة النوم. لدهشتي لم يأكل مهاب وظل يحدق في السقف مُفكرًا.

-٢-

رحلت قبل الفجر، على وعد بالبحث عن وسيلة أخرى للوصول إلى عالم الظلمات. صعد مهاب إلى أهله فوجدهم يشاهدون التلفاز، جالسين على فراش مهاب القديم.

سلَّم عليهم ودخل حجرة أخيه عمرو التي لم يمسسها أحد، وإن كانت والدته تسمح لحسن بالمبيت فيها إن أراد أن يمضي عندهم يومًا أو اثنين.

جوار الفراش رأى مهاب روايات الرعب التي كان يحبها أخوه، وقد زاد عليها كُتبي. أمسك الكتاب الأول وراح يقلب صفحاته حتى وصل إلى الفصول التي أحكي فيها عن محاولاتي لإفناء الشياطين في جسدي. يفتح الكتاب التالي فيقرأ عن حديث شياطيني معي، يعرف أنني استطعت استجوابهم ولم يستطيعوا الكذب عليَّ أو التملص من الإجابة.

راح يُكرر لنفسه بصوت مسموع:

- الشياطين العبيد تعرف أين أسيادها وماذا يفعلون.. لكن..

سمع طرقات على الباب، ثم دخلت أمه وقالت:

- هل ستنام هنا؟

- أجل..

- حسنًا.. أريد أن أتحدث معك قليلًا..

- طبعًا يا أمي..

- ربما لم أجد فرصة لهذا الحديث من قبل، بل لم أجد الجرأة كي أعترف بخطئي. أعرف أنك تظنني غاضبة من احترافك تقديم البرامج على يوتيوب، وتظنني لا أسمع بعد منتصف الليل، لكنني أسمعه. أزيدك من الشعر بيتًا؟ قرأت كتب لاشين التي اشتراها حسن وإخوتك. هم فخورون بك للغاية يا بُني، وأنا أيضًا فخور بك.

صمتت هنيهة ثم أردفت:

- هذا بالأسفل هو آدم لاشين، وقد نزلت كي أتأكد مما يزعمه إخوتك. صورته على غلاف الكتاب واضحة للكل.

- أمي..

- مهاب.. هذا الشاب يحتاج إليك، يحتاج إلى صديق. أتذكُر عمرو أخاك وحسن؟ كيف كان حسن يحتمي بنا وكأننا من دمه ولحمه؟ كلنا يبحث عن عائلة يختارها وتختاره، وآدم لم يجد عائلة تقبله ولا صديقًا لا يخشاه.. أقرأت ما حدث له عند ديهيا؟

- قرأت، لكنه شيطان يا أمي.. كلما عاملته كإنسان فاجأني بفعلة لا أفهمها ولا أستوعبها. هو، للأسف، شيطان..

- ألا يأكل ويشرب؟ ألا يُحب؟ هذا الشاب يحب سهير زاهر يا مهاب، النساء تعرف أكثر منكم. صحيح أنه حب غير مشروع، محكوم عليه بالموت، لكنه يحبها ولأجلها يكتب كتبه. هل الشيطان قادر على أن يحب؟

وضعت والدته كفها على ذراعه وأضافت:

- لو شُفي مما هو فيه، ألن نكسب فيه ثوابًا؟ ما يأكل بشريته يا مهاب هو الثأر، الانتقام..

- وهل يترك ثأر أمه وأخيه؟ العين بالعين..

- حين يحولك الثأر إلى شيطان يا مهاب، فالعين ليست بالعين، بل بالروح والجسد والخاتمة يا بُني.

نظر مهاب إلى فراش أخيه، ثم تذكَّر الجسد النجمي الذي صنعته على هيئة أخيه لخداع شياطين المرآة(8)، ذلك الجسد الذي يحتفظ به في شقته في الجيزة.

لم يفلح شيء في مواساته، لن يفلح شيء في سد الفجوة في روحه إلا جثة شيطان الرعب إن كانت له جثة. الانتقام شفاء، لكنه علاج مُمرِض لسأم الروح.

أردفت والدته:

- كنت أريد أن أقولك لك كذلك، حقَّك عليَّ. ما كان لي أن أرغمك على اختيار مجال عملك وما كان لي أن أؤنبك هكذا حتى بعدت عنا إلى هذا الحد. لم أرَ هذا إلا بعد.. بعد ما حدث لعمرو. العمر قصير يا بُني.

- هل أنت راضية عني الآن يا أمي؟

- قلبي وربي راضٍ عنك، لكن رجاء، لا تحرق قلبي عليك يا مهاب.

***

لم أنم من كثرة التفكير، لذا لم أشغل بالي بمعرفة ما يفعل مهاب وقتها ولم أعرف ما حدث إلا بعد أسابيع -وأنتم تعرفون أنني أرى الماضي كما ترون أنتم الأفلام على الشاشة، لكنني لا أقرأ الأفكار طبعًا- ربما أحصل على هذه القدرة إن ابتلعت شيطانًا من الفرسان الأربعة، وقضيت الساعات التي مكثها مهاب مع عائلته في البحث عن طريقة لمعرفة مكان أهرمان.

كانت الطرق المُتاحة هي:

١- التواصل مع عمارة قابيل كونه الجاسوس الوحيد الذي

نملكه هناك.

لم ننجح في التواصل معه، إما لمشكلة في تشغيل المايكروفون، أو لأنه لا يريد التواصل معنا لسبب نفسي لديه أو لمشكلة وقعت له هناك.

٢- أن أطلب من مهدي أبركان -كونه زوهريًا- أن يذهب إلى عالم الظلمات ويتقصى أمر أهرمان.

لن أدخِل مهدي في أمر كهذا، لأنه سيطالب بحزام الضحاك، وربما بالضحاك نفسه لإرضاء ديهيا الشمطاء.

٣- أن أرسل شريف لعالم الظلمات، لكنني لن أرسله دون تدريب، ولن أستطيع توفير من يدربه إلا مهدي. ثمة سبب آخر، لن أخاطر بابن سهير بعدما تسببت فيما حدث لحفيدها. لن أوجع قلبها أكثر من ذلك.

٤- أن أستدعي شياطين من العبيد وأستجوبهم، لكنني لن أستطيع استجوابهم وهم في جسدي، فالشياطين داخلي ستُفنيهم في لمح البصر.

٥- أن أستدعي شيطانًا من العبيد في جسد شخص آخر وأستجوبه، ثم أطلقه من جسده باستخدام الإجزوسيا، لكن لو مات هذا الشخص أو فشلت في إخراج الشيطان منه، أو تمكن الشيطان من الفرار بجسده فسأكون قد تحولت إلى

أبي، وأنا لن أستغل أي شخص دون موافقته ورضاه. من قد يتطوع لعملٍ كهذا؟ ومن قد يعرف بما أريد فعله أصلًا كي يعرض خدماته؟

٦- محاولة استدعاء أهرمان نفسه وحبسه في جسد خنزير، وبهذا أضمن وجوده بعيدًا عني حتى أنتهي من الضحاك.

هذا أفضل حل لدي، لكنه حل فيه من المغامرة ما يُقلقني بشأنه. ماذا لو كان أهرمان أقوى من الخنزير واستطاع الفرار منه؟ ماذا لو لم يكن أهرمان في عالم الظلمات وكان في عالم البشر متلبسًا بجسد بشري؟ هل سأستطيع استدعاءه؟ ماذا لو اضطرتني الظروف إلى التهامه، فهل سيقدر جسدي على تحمله؟ ماذا لو التهمته فتحكَّم هو فيَّ؟

رغم رفضي عرش ديهيا منذ أعوام طويلة، لكن يبدو أن لا خيار أمامي سوى قبوله والاستيلاء على عرشها وإمكاناتها بعد قتلها كما رأت في نبوءتها، أو التحول إلى ديهيا أخرى، تستنزف دماء الزوهريين وتؤوي الجن والمنشقين وتعالج الأبالسة وتعقد اتفاقات مع كيانات الظلام.

جاءتني مكالمة فيديو من مهاب عبر ماسنجر، وأنا عادة ما أستخدم الأقمار الصناعية في تشغيل الإنترنت لأن تغطية المحمول مُنعدمة تقريبًا حيث أسكن، فضلًا عن أن منزلي حوله رَصَد يمنع شبكة المحمول من الوصول إليَّ.

- لاشين.. لدي فكرة. لكن أولًا أكد لي أن ما أفهم صحيح. أنت لن تستطيع استدعاء شيطان من العبيد إلى جسدك لتستجوبه لأن جسدك سيُفنيه. أليس كذلك؟

- أكمل..

- هل لديك أسرى مثلًا تستطيع إدخال تلك الشياطين في أجسادهم؟

- كلا. لا آسِر البشر رغم رغبتي الشديدة في ذلك. اعتبرني شيطانًا ذا مبادئ. لن أستدعي شيطانًا في جسد شخص بريء أو مُذنب حتى. لن أكون مثل أبي أبدًا.

- لكنك قادر على إخراجهم منه، أليس كذلك؟ عهد الإجزوسيا الذي كان معك في رحلة اليابان(9) يُخرج الشياطين من الأجساد.

- هذا صحيح، لكن من قد يرغب في تجربة شيء كهذا بإرادته؟

- أنا؟

اتسعت عيناي وأنا أحدق إلى الليل بالخارج. أردف:

- ما المشكلة. يقولون أن الممسوس لا يشعر بشيء ولا يذكر ما يحدث معه ولا ما يفعل. وأنت قادر على إخراجهم

من جسدي.

- هذا لن يكون..

أعرف أن مهاب يريد التأكد مما إذا كان أخوه كان يتألم حين احتل شيطان الرعب جسده، بل يريد أن يتألم كما تألم أخوه ولم يصدق شكواه، ولم ينقذه، بل ويجبن عن الثأر له. لكنني أذكر أنيس -أخي- وأذكر الجدي الذي أسكنته الشياطين وأذكر ما تبقى من أمي...

- هذا لن يكون. بالإضافة إلى أنني... لا أملك كتاب عهد الدجالين. أنت تعرف أن الشياطين ألغوا كتابي.

- وأعرف أنك تُغير على كتب السحرة وتقتلهم، بالتأكيد لديك كتاب آخر.

- لا أستطيع استعمال كتاب ليس كتابي.

الحقيقة أنني أستطيع استدعاء الشياطين دون كتاب من الأساس، لكنني لن أفعلها معه. أشعر بالشريان في جبهتي يبرُز ويفضح انفعالي. تبًا، لماذا يخونني جسدي الطيني اللعين مع سهير ومهاب؟! لماذا يحن إلى الطين الرخو عديم الفائدة؟

ظل مهاب ينظر إليّ، لكنني كنت قد اتخذت قراري، وسأسلك الطريق الأصعب.

الفصل الثالث -١-

ما زالت الأحلام تراودني. أعرف أن أحلامي قد تختلف قليلًا عن أحلام البشر، فما أن أنام ويهدأ نشاط عقلي البشري، تزيد قواي الشيطانية إلى الحد الذي معه أعرف الماضي كأنني أشاهد فيلمًا.

لكن ليس كل الماضي متاح أمام الشياطين، فما زلت عاجز عن معرفة ما يحدث داخل الأماكن المرصودة -مثل مملكة ديهيا مثلًا أو المغارات السحرية- وخارج أقطار كوكب الأرض. عاجز عن معرفة ما يفعل الجن أو ما فعلوا إن لم يكونوا مُتجسدين في عالمنا. تدريجيًا بدأت أفهم حاجة ديهيا لجيشها المتنوع، فلا يوجد مخلوق كلي القدرات.

بدأت سلسلة الأحلام المُرتبطة بالضحّاك قبل أسبوعين من بحثي عن المغارة التي كان محبوسًا فيها. تعلّمت أن تلك النوعية من الأحلام -أمثال حلم الضحاك- لا تراودني بشكل عشوائي، لكنني لم أتوصل بعد إلى نسق يربط سياق تلك الأحلام.

كنت قد نمت ثم رأيت نفسي أعتلي عرش ديهيا، لكنني كنت في زمن مختلف لم أستطع تمييزه، وكانت القاعة واسعة للغاية تعج بالجواري والعبيد. نظرت عبر النافذة التي

تحتل جدارًا كاملًا فرأيت مرجًا واسعًا تحيط به الجبال، وبين جبلين رأيت كائنين بشريين ضخمين مقيدين إليهما وقد فقدا الوعي، وحين يستيقظ أحدهما ويحاول التملص، أبصر جناحين مضمومين خلف ظهره.

ثم شعرت ببرودة هائلة، والتفت خلفي لأري رجلًا يرتدي زيًا قديمًا مثل أزياء الأفلام التاريخية. كان مبتسمًا وهو يتقدم مني، ثم يمسك كتفيّ ويقبلهما.. ويختفي. في طريقي إلى العرش شعرت بلحم كتفيّ يتمزق. ارتميت على الأرض وأحاط بي رجالي وعبيدي. أرتكن على كفيّ وأحاول الوقوف، أتشتت من منظر الدماء واللحم المتساقط مني.

صوت عظامي يتكسّر، والناس حولي يعدون في كل اتجاه محاولين إنقاذي. جارية تولول وهي تنظر نحوي، تتحدث بلسان لا أفهمه وتشير إلى منكبيّ.

أتحسس حيث أشارت فيفاجئني ملمس أفعواني بارد، ناعم. أنظر يميني فأرى حية تمزقني وتنشب أنيابها في رأس الجارية. أجد نفسي أجَر إلى الخلف، تتسع عيناي ذعرًا حين أرى حية أخرى تنبت من كتفي الأيسر وتسعى نحو رجل جمّده الذهول، ثم تقتلع أعلى رأسه وتلتهمها.

الحيّتان تجرانني في كافة الاتجاهات، تسعيان نحو الفارين، تقتلعان أعلى الرؤوس ولا تؤثر فيهما السهام التي

انطلقت تحاول قتلهما دون أن تصيبني.

في النهاية خلت القاعة إلا من الجثث والدماء، ومني، أنا الذي تجره الحيتان نحو العرش ثم ترفعانني لأعتليه ممزق الجسد والروح.

حين استيقظت كان كتفاي يؤلمانني، لكن سرعان ما زال الألم وعرفت على الفور من كنته في الحلم، كنت الملك الأسطوري الضحاك، وكنت بالطبع قد قرأت الشاهنامه، لكنني لم أتخيل قط ما حدث على هذا النحو الذي رأيته في منامي.

صعدت السلم الخشبي إلى أعلى أرفف في مكتبتي التي تحتل حوائط قاعة ضخمة في بيتي، وأنزلت كتب السحر التي تخص إيران وأساطيرها، تلك الأساطير التي لم تصل إليكم -يا قراء هذا الكتاب- قط من أية مصدر لأنها ببساطة كانت الحقيقة وراء الأساطير، والدليل على وجود عوالم ومخلوقات لن تتصوروا وجودها.

وكأن ذلك الحلم كان رؤيا أوضحت لي ظلام بحثي عن سلاح آخر أضمه لترسانتي المخصصة لتدمير عالم الشياطين، ووقع تحت يدي وصف حزام الأسد السماوي، وقد وجدته في كتاب لا أذكر من أين حصلت عليه، وكيف لم أقرأه من قبل.

بعد عودتني من جبل دِمَاوَند، وبعد أن نقلت كل ما كان في المغارة إلى حوزتي، خرجت ليلًا إلى حيث كثبان رملية مرتفعة في الغرب، ونمت في العراء كي أطلق العنان لقدراتي الشيطانية دون رصد يحد من قدراتها، ورُحت أبحث عن الضحاك.

-٢-

قال مهاب وهو راكب جواري مُتجهين إلى سيوة، وكان يخط بعض العبارات في دفتر صغير:

- كي لا أنسى، نحن نريد الحزام، ولماذا نريد الحزام؟ كي نزيد ترسانتك من الأسلحة السحرية، ولماذا نُزيدها؟ كي نستطيع التغلب على شيطان الرعب.

- لماذا تستخدم صيغة الجمع؟

- لأننا في هذا الأمر معًا يا لاشين. أنت لك ثأر كما أن لي ثأر. أنت مهما كنت قويًا، فأنت وحيد، ولن يكون لك رفيق إلا من كان له نفس هدفك.

- الطريق خطر.

- كل الطرق خطرة. حين ناقشت مع أستاذة سهير رغبة حسن صديق عمرو أخي في الانضمام إلى فريقنا لتلبية رغبته في الانتقام لصديقه، قالت لي دعه معنا، لأن لو رفضنا سيسلك مسالك أكثر خطورة في سبيل ري عطشه للانتقام، وقتها لن نعرف أي خطر يحيق به. أنا سأنتقم لأخي لا محالة، وأنت وعدتني أنك ستساعدني، ألا تذكر؟

- كان وعد شيطان.

- لم يكن وعد شيطان يا لاشين. أنا أصدقك، وأعرف معنى أن ينفر هذا الشريان في جبهتك. أنت تصارع شياطينك، أنت تكذب عليّ في كل مرة تدعي أنك صرت شيطانًا بالكامل. تكذب حين تدعي أنك أنقذت الأطفال من براثن جبر لمصلحتك الخاصة، تكذب لأنك استسلمت لشياطينك، لكن إنسانيتك ما زالت تقاوم.

ابتلعت ريقي وعدّلت وضع العوينات الشمسية على قصبة أنفي، ثم قُلت:

- ربما أجد الحزام مع أهرمان وتظل أمامي مهمة العثور على الضحاك وقتله.

- وكيف تعرف أن أهرمان لن يكذب عليك؟

- سأعرف.

- إن لم نجد الحزام مع أهرمان، وقتها سنبحث عن الضحاك. إما أن يكون الحزام معه، أو..

- أو مع شيطان آخر؟! لا أظن.. لن يعبث شيطان آخر مع أهرمان إلا إذا كان أكبر منه، وإن كان أكبر منه، فيمكنني اعتبار أن الحزام مفقود وقتها حتى أحصل على أسلحة أكثر قُدرة أو أطور قدراتي أكثر.

- لنعتبر أن الحزام مفقود من الآن، ولتبحث عن سلاح غيره!

مهاب خليط عجيب من الحماس وقلة الثقة بالنفس والعِند وقصر النَّفَس. باع القضية في لحظة وهو من كان مُستعدًا للتضحية بنفسه من أجلها منذ ساعات.

قلت له في نفاد صبر:

- لن أترك أهرمان وصنيعته يُدبران ما يُدبران، حتى لو لم أحصل على الحزام. يكفينا شيطان الرعب في عالمنا، وكلما قل عدد أمرائه وحلفائه في عالم البشر، بدت لي هزيمته ممكنه. ثم هل تظن أننا في لعبة فيديو من تلك التي يجمع فيها اللاعبون عصيًا وأسلحة سحرية في كل خطوة يخطونها؟! لو ضاع حزام الضحاك فربما أقضي مئات الأعوام بحثًا عن سلاح غيره، وقتها سيكون عمر قد كبُر.. هل تتخيل أن يصير عمر رجلًا وبداخله شيطان الرعب؟

غاص مهاب في كُرسيه أكثر، وراح يُخط شيئًا في دفتره، مصحوبًا برسومات توضيحية تساعده على فهم كل هذا التعقيد. حين وصلنا، ترجّلت من السيارة بينما ظل مهاب ينظر حوله في تعجُّب ثم هتف:

- أنت تسكن هنا؟

- أجل.

أزلت الرَّصد عن المكان، فتبدى له المنزل ذو الطابقين والقباب، الذي بنيته وشياطيني في أربعة أعوام، ثم أدخلت السيارة وهو فيها إلى المرآب. قبل أن أعيد الرَّصد سألني وهو ينظر إلى هاتفه المحمول:

- لا تصل شبكة المحمول إلى هنا..

- لو أنها تصل، فهي لن تخترق الرَّصد عمومًا.

- وكيف سأطمئِن الحاجَّة على وصولي؟

- مهاب، دعني أذكرك الآن أنك إن انتويت مرافقتي، فلا مجال للتفكير في كيفية التواصل مع البشر، ولا داعي للتفكير في طريق العودة. في كل مرة أخطو فيها خطوة تقربني من شيطان الرعب، أوقن أنها الخطوة الأخيرة ولا يهمني إن كانت كذلك. يمكنني أن أعيدك إلى المحلة لو أحببت.

لم يرُد، وتبعني. دخلنا، وقدته إلى الحجرة الواسعة التي أضع فيها مُعدَّاتي. نظر حوله كالقروي الذي يشاهد المدينة لأول مرة، ثم قال:

- ما هذا؟ لو كنت إنسانًا عاديًا لوقعت تحت طائلة السلطات

الأمنية فورًا!

- هذا إن كنت إنسانًا عاديًا. لدي اتصال مباشر بالأقمار الصناعية وأدخل شبكة الإنترنت عن طريقها حين أزيل الرَّصد من وقت إلى أخر.

كان منبهرًا بعد بالأجهزة لديَّ وإن لم يتعرف على أي منها سوى ماكينة إعداد القهوة والحاسوب. ناولته جهاز لاسلكي –ووكي توكي- وقلت:

- إن أردتني كلمني.

- وأين ستكون؟

- ما سنفعله غير معروف العواقب، ربما تجد نفسك في معزل عني لأي سبب. إن لم أرُد عليك، حاول مرة أخرى لاحقًا، ولا تكف عن المحاولة.

قبل أن يُرد ناولته ورقة فيها وصف استخدام حزام ديهيا لفك الرَّصد عن المنزل في حال حدث لي مكروه، فلن أتركه يتعفن هنا وحده.

***

حمَّلت مهاب بكل ما قد يحتاج إن حدث لي شيء، ومع ذلك لم أكف عن لوم نفسي على توريطه معي أكثر من ذلك.

لقد فشل في التواصل مع جده، فما الذي يجبرني على مرافقته بعد ذلك؟ السؤال الأهم، أحقًا القوة المُطلقة ضعف؟ هل الإنسان هو أقوى من في الكون وقدراته المحدودة هي القوة المطلقة الحقيقية؟ هل أحتاج إلى بشري واهن كمهاب؟!

عرجنا على قفص الخنازير التي أحتفظ بها لإجراء تجاربي، واخترت واحدًا ضخمًا. بالطبع كاد مهاب أن يفقد وعيه من منظرها وقوتها، فكل معرفته عن الخنازير تقتصر على خنزير الرسوم المتحركة ذي التفاحة في فمه.

وضعت أختام الوشم وطوق الأشواك في حقيبة ظهري التي لا تفارقني، وهي حقيبة أشبه بحقائب متسلقي الجبال. نزلنا إلى النفق تحت المنزل، والذي يصل بين مقري وجدار مغارة ديهيا، تلك التي كانت تفتح فيها بوابة عالم الظلمات باستخدام طُرُقها المُختلفة عن طريقة كتاب عهد الدجالين.

أنا أستطيع الآن فتح بوابات عالم الظلمات بنفس الطريقة التي يستخدمها الشياطين أنفسهم، لكنني لا أريد ابتلاع أهرمان، على الأقل الآن، فأنا في حاجة لاستجوابه فقط، فلا حل سوى طريقة ديهيا.

***

أشعلت موقدًا صغيرًا وناولت مهاب الأختام الحديدية ليُسخنها، ثم ألقيت إليه بكيس فيه كرتان خشبيتان محاطتان بشبكة معدنية، ودفتر صغير.

نظر إلي بعينين مُتسائلتين وقال:

- هل تثق أنني قادر على مساعدتك؟

- سنرى، لكن إن فشلت، فالثمن سيكون باهظًا خاصة ذلك الذي ستدفعه أنت.

لكنني كنت أعرف أن مهاب لن يجبُن. أنا رأيت ما فعل في رحلة اليابان وقد كان الهول شديدًا. مهاب ليس جبانًا، لكن أهرمان لا يُقارن بالشيطان جبر، ولا أعرف إن كان مهاب سيتحمل ما سيحدث أم لا.. لا أعرف إن كنت أنا سأتحمل أم لا.

ضربت الخنزير على رأسه بقبضتي ففقد الوعي، ضحك مهاب وقد تذكّر لمّا ضربته بقبضتي -برقة- حين اختنق في طعامه. قلت له:

- أنت قرأت كتابي كاهنة الأوراس وتعرف هذا الطقس.

- نظريًا، أعرفه. أعتقد أنني سأقوم بدور مساعدي ديهيا. سأشخشخ بهذه الكرات وأكرر ما ستقول.

- ومعك دفتر مكتوب فيه بحروف عربية ما سأقول كي تستطيع تكراره بدقة. يفصلنا عن كهف ديهيا هذا الحائط.

- الحقيقة أنا منبهر وقد يَقيني انبهاري هذا من الخوف. أتعرف حين تشعر أنك تحلم؟ عقلي لا يصدق أن كل هذا حقيقي أو حتى خطر.

كنت قد بطَّنت الممر بالأسلاك، ورسمت رموزًا بصرية تحد من تركيز الشياطين، كتلك التي رُسمت على قفل حجرة عمر حين زرتهم. بعض البشر لديهم خوف غير مُبرر من الأشياء المثقبَّة، وهو خوف مرضي يدعي ترايبوفوبيا، يشعر المصاب به بدوار ورعدة قوية وعدم القدرة على التنفس بشكل طبيعي، وقد تصل الحالة إلى فقدان الوعي. هذا بالضبط هو تأثير بعض الرموز على الشياطين، ولا علاقة لهذا بقدسية الرمز. أي شكل متماثل من الجهتين يسبب التوتر للشياطين، لذا تجد أغلب الرموز المُستخدمة في إبعاد الكيانات الشريرة متماثلة النصفين «سيمترية». أعرف أن هذا الشكل يُثيرهم كونه يبدو في عقولهم لا نهائيًا، مثلما تشعر أنت بالحيرة حين تنظر إلى مرآتين متقابلتين.

بدأت في قراءة التعاويذ التي تفتح البوابة، وهي نفس التعاويذ التي كانت ترددها ديهيا، لا تنسوا أن جدي الأكثر هاكوب لاجين «خريج» مغارة دانيال في جبال الأوراس مثل

ديهيا، وكتبه معي. سأحكي لكم في كتاب آخر كيف حصلت عليها. وضعت قدمي فوق رقبه الخنزير كي يثبُت حين يحضر الشيطان. سألني مهاب:

- ماذا لو لم يكن أهرمان في عالم الظلمات؟

- سيأتي.. ردد ورائي!

ردَّد ما أقول وهو يحرك «الشخشيخة» بيُسراه بحماس أكبر. ثم أدركت أنه غير قادر على الحديث بسبب الرعدة التي تملَّكته. استحال العرق على حاجبيه ولحيته القصيرة إلى ندف ثلج. درجة الحرارة تنخفض وقد زاد هذا الشعور ضيق الممر الذي نقف فيه.

- مهاب! هات الختم!

لكن مهاب ظل يرمش دون أن يحرك ساكنًا. الخنزير يرتجف تحت قدمي بقوة، وبعض الغبار يتساقط من سقف الممر. تُرى هل سيتحمَّل؟ الأسياخ بعيدة عني، ولا أستطيع أن أصلها دون أن أرفع قدمي عن الخنزير المُقيد. أرى حلقات السلاسل الحديدية تتباعد. رائحة بشعة غير أرضية تملأ الهواء.

أعتقد أن مهاب يختنق.

بسرعة رفعت قدمي عن الخنزير وأحضرت الأختام، وحين عدت إليه كان قد مزَّق قيوده وراح يضرب الحائط بمقدمة رأسه. اللعين يعرف أن الرمز على جبين الحيوان هو ما يربطه إليه. دمغته بالختم الأول فالتفت إليَّ وكان قد شج رأس الخنزير حتى ظهر مخه. انطلق نحوي دفعني نحو الحائط، لكني دمغته بالختم الثاني. ظل يدفعني إلى الحائط، ثم أنشب أسنانه في بطني..

لا بأس.. فليحاول كما حاول من سبقوه.

تضحك شياطيني..

يجب أن نعطي فرصة للشباب، دعوه يجرب حظه في قتل لاشين.

أضحك وأنا أشعر بدمائي الساخنة، وربما بأمعائي تتدلى من بطني. أضحك وأنا أنظر إلى عيني الحيوان الذاهلتين وهما تراقبان جسدي يتعافى سريعًا رغم ما في فمه من أعضائي الحيوية. الخلايا تتكاثر داخلي وتبني ما نقص من أعضاء. أنا طابعة خلايا بشرية.. أم أقول شيطانية؟

يصرخ الشيطان فجأة، فأنظر خلفه لأجد مهاب قد لفَّ حزام الشوك حول رقبته، ثم تهاوى أرضًا. قال بوهن:

- هل.. أنت بخير؟

ولم ينتظر أن يسمع إجابتي، ففقد الوعي من البرد وقوة الرائحة الكبريتية. وقف الخنزير على قائمتيه الخلفيتين وهو ينقل نظره بيننا. وضعت مهاب في مكان بعيد وغطيته بسُترتي. أتمنى ألا يموت الآن. قلت بثقة:

- مرحبًا أهرمان.

أطلق الخنزير صوتًا رغويًا هادرًا، ثم انطلقت من حنجرته ضحكة كريهة وراحت بطنه تهتز وقد نفرت عروقها.

- إذًا لاشين حقيقي! لم أصدق حين حكوا لي، فالشياطين تعشق الكذب كما لك أن تعرف.

- ومن حكى لك؟

- أوه.. الكثير. الكل يتحاكى عنك يا آدم.

- تأدَّب! اسمي لاشين.

- هذه تفاهات، الأسماء تفاهات، الأجساد تفاهات كذلك، فانظر كيف تُحبس الشياطين في أجساد خنازير..

ثم أشار إلي وأردف:

- أو بشر.

- تأدب حين تتحدث عن البشر.

- آه.. المُدللون.. أدعوهم المُدللين. دمى طينية تحيا على كوكب طيني، لكن حين تنفقون كالبهائم، فلا يعذب أرواحكم إلا..

ثم هدر في فخر:

- النار. كابيشي؟

قال كلمته الأخيرة بالإيطالية بمعنى «أتفهم؟»، أعتقد أن هذا الشيطان ذو طابع غربي، ولم أتصور أنه سيكون كذلك. ربما عاش في جسد أمريكي فترة لا بأس بها، فالطريقة التي يتحدث بها أمريكية رغم استخدامه للفظ إيطالي.

- أنت تُقلد أفلام العصابات الأمريكية، لقد تسلل التراث البشري تحت جلدك دون أن تشعر. المهم. أحضر لي حزام الضحاك وسأتركك تعود إلى عالم الظلمات.

- ها قد بدأت المساومات. حزام الضحاك يقيد الضحَّاك.

- لا بأس. سأتركك هنا مع مقطوعة مُهدئة حتى تُفكر في مصلحتك.

وضعت سماعاتي على أذني الخنزير، ثم أوصلتها بجهاز تشغيل موسيقا «آي بود».

- لتسمع الإجزوسيا، قطعة فريدة حقًا.

والإجزوسيا(10) لمن لم يسمع الحلقة الأولى من الموسم الثالث من برنامج بعد منتصف الليل، هو عهد قديم للغاية وقد سجّلته بتردد صوتي أقل من قدرة البشر على السماع كي لا يعرف نصّه أحد سواي، لكن الشياطين -وأنا- قادرون على سماعه، لذا أذيعه في سماعات كي لا أتأثر به. تركته يصرخ ويضرب جسده في الحوائط، وذهبت أطمئن على مهاب. كان متيقظًا لكنه يرتجف رعبًا أكثر مما يرتجف من البرد.

- سأعيدك إلى المنزل. هو تحت سيطرتي الآن لا تقلق.

- كلا.. سأظل معك. يجب أن أعتاد كل هذا إن كنت سأنتقم لأخي. يجب أن أعتاد كل هذا وإلا فما الغاية من حياتي؟

قبض مهاب على سيخ من الأسياخ المُثبتة فيها الأختام. كبشري، لن يطمئن إلا إن كان هناك سلاح في يده، لكنني أعرف أنه لن يفيده في شيء إلا إذا رغب في قتل نفسه به. ظل يغمغم بآيات من القرآن وتحامل على نفسه وقام متدثرًا بمعطفي، ووقف في الركن. سألني:

- ماذا لو أخرجته الإجزوسيا من الخنزير؟

- هذه هي الفكرة، الإجزوسيا يفكك اتصاله بالخنزير لكن الأختام والطوق يحبسه فيه. الأمر يشبه أن تدور في خلاط،

قوة الطرد المركزية تدفعك لتطير بعيدًا، ووعاء الخلاط يمنعك من ذلك ويُعيدك إلى المركز.

- العلم.. حتى عالم الشياطين يخضع لقوانين الفيزياء.

- طالما كان الشيطان في عالمنا، فهو خاضع لفيزيائنا.. يقول الأمريكيون: طالما كنت تحت سقفي فستتبع قوانيني.

-My roof, My rules

أغلقت التسجيل، فتهاوى الخنزير على أربع وقد لاحظت أن بعض المواضع من جلده قد تقشَّرت. رسمت رمزًا على جبيني أعرف أنه مألوف لديكم الآن.

- هل تعرف يا أهرمان أنك إن أفسدت جسد الخنزير هذا لن تجد لنفسك عائلًا سوى جسدي؟ البوابة مغلقة كما لا بد وأنك لاحظت.

ضحك وقال ساخرًا:

- وتظن أنك قادر على إفنائي في جسدك؟ لن أحتاج إليه.. اطمئن..

- لست أنا من سأفنيك، بل أمثالك من الشياطين بداخلي، حلفاؤك، بنو جنسك. لن يمانعوا أبدًا في الخلاص منك أو على أقل تقدير في حبسك معهم.

- أنت لا تعرف أهرمان يا آدم. إينرا ماينو.... آكيم ماناه.. مُفسِد الملوك، مانع الغيث.. دايڤانام دايڤو.. ملك الملوك..

نطقت اسمه الحقيقي وهو أقرب إلى «هليمن» لكن ثمة صوت يشبه الهمزة في بداية اسمه، وتشكيل اللام لا مثيل له في العربية، ثم دسست إصبعي في مخه وكتبت بالدماء اسمه على الحائط مقلوبًا. هكذا يُكتب اسم هذا الشيطان.. مقلوبًا..(11)

- أريد الحزام.

- هذا ليس اسمي الحقيقي.

- بل هو اسمك. أريد الحزام.

- ليس اسمي!

- الحزام.

- الحزام يقيد الضحاك! ألا تفهم؟!

- لقد فر الضحاك، وأنت من فككت قيده. أين الحزام؟

- فر؟! تقول أنه فر؟! كيف؟

هو يكذب.. لا بد أنه يكذب، وإلا.. كيف فر الضحاك؟ ومن هو الشيطان الذي فك وثاقه؟

- آدم لاشين، اتركني وسأجلب لك الضحاك وحزامه.

- يكفي أن تخبرني أين هو وأين الحزام.

- لا أعرف أين هو! لكنني أعرف أن من هرَّبه أكبر بكثير من قدراتك أيها البشري. أكبر بكثير.. أنت لا تعرف مِهر، ولا تعرف ما هو..

***

في حُلمي الذي تلا رحلتي إلى جبل دِمَاوَند، رأيت عددًا من أهل الجبال الإيرانيين، بعضهم يرتدي جلابيب قصيرة فوق سراويل وصدريات بلا أكمام ويعتمرون العمائم، وبعضهم يرتدي سراويل ملونة وقمصانًا. كان هؤلاء يُنزلون صندوقًا خشبيًا ضخمًا من منحدر جبلي، ثم يضعونه في صندوق سيارة نقل موديل أواخر السبعينات.

جوار السائق المحلي، يجلس رجل ذو ملامح أجنبية يرتدي بذلة خضراء بأزرار ذهبية، وعويناتِ نظر بإطار سميك أسود، ويطيل شعره الناعم ليغطي جبهته وعنقه. ظل صامتًا طيلة الطريق الوعر بين الجبال، ولم يكن ينزل من السيارة أو يتحدث إلا حين يرشي الجنود عند نقاط التفتيش على طول الطريق. وكلهم كان يقبل الرشوة دون مقاومة.

يبدو أنهم يهربون حمولة سرية ما، حمولة ضخمة آتية من

قمة جبل دِمَاوَند الموحش الثلجي. حين وصولوا إلى شاطئ خالٍ يطل على الخليج العربي، أنزل الرجال الحمولة ونقلوها إلى سفينة شراعية قديمة. كل شيء في الحلم يشير إلى أجواء أواخر السبعينات. هذا ليس حُلمًا.

أنا أرى الماضي.

ثمة شيء غير طبيعي في الرجل ذي البذلة الخضراء، وخطر في بالي أنه قد يكون شيطانًا في جسد عائل بشري. هذا هو الشيطان الذي هرَّب الضحاك ولا ريب، هذا هو أهرمان.

***

- أنت هرَّبت الضحاك وأنا رأيتك تفعلها.

- أنت رأيتني أهربه؟ مستحيل. أنا لم أرَ الضحَّاك منذ آلاف السنين. انتهى زمن الملوك الممسوخة يا آدم، انتهى عصر الأساطير. قريبًا سيكبر ابن سهير زاهر وسيصير وسيمًا قويًا، وسيحكم العالم. أنت أكثر من يعرف قوة الوسامة وتأثيرها، وأكثر من يعرف سطوتي على الملوك. وحتى يكبر ابن سهير زاهر وأصير وزيره الوفي، سأظل بعيدًا عن أضواء المسرح.

- من مِهر؟ هذا إله وثني، ولا وجود للآلهة الوثنية.

- لا وجود للآلهة الوثنية، لكن مِهر حقيقي. أطلقني وسأحضر لك حزام الضحاك.

- مُقابل؟

- مقابل صولجان مِهر.

المشكلة أن المعلومات المتوافرة عن مِهر أو ميترا أو ميتراس تدور كلها حول كونه إلهًا وثنيًا وصلت عبادته إلى روما القديمة، قد ذُكر صولجان مِهر مرة واحدة في كتاب أساطير إيرانية قديمة حين شاع أن صولجان مِهر هو ما نفى أهرمان إلى عالم الظلمات بعد أن أفسد حياة الضحاك ورعيته. لكن إن لم يكن مِهر شيطانًا، فماذا يكون!

- ما هو مِهر؟

- أطلقني يا آدم لاشين، ولتجعل بيننا اتفاقًا وإلا ستندم. أنت لن تستطيع مجابهتي، وتذكَّر أنك تحتاجني. لنكن أصدقاء على الأقل الآن يا آدم. كُتُبك لا تحوي كل أسرارنا والدليل أنك لا تعرف ما هو مِهر، ولا تعرف شيئًا عن الحروب العتيقة..

أخيرًا تكلم مهاب بصوتٍ راجف وقال:

- لو أن مِهر ليس شيطانًا، فهو لا يُشكل خطرًا علينا، أليس

كذلك؟

ضحك أهرمان حتى كاد صوته يُسقط السقف فوق رؤوسنا، ثم أخيرًا تمالك نفسه قال:

- ومن هذا أيضًا؟! متى بدأت في تربية الأرانب يا آدم؟

- احترم نفسك!

صاح بها مهاب، وللحظة تجمدت شياطيني وتجمد أهرمان. مهاب مرتاع، ومع ذلك هو قادر على «الشَّخط» في شيطان مُسلسل. ربما هي جرأة الجهل، أو شجاعة المخابيل. أردف مهاب:

- لاشين، إن لم يكن الحزام معه، فلا داعي لتضييع الوقت. أعتقد أنه يقول الحقيقة.

- وأنا لا أعتقد ذلك. الجميع يكذب في عالمه المقيت.

- هلا سمحت لي بلحظة؟

أشار مهاب إلى الممر الضيق المُفضي إلى القاعة الصغيرة التي نقف فيها. صحبته إلى حيث أراد فقال همسًا:

- هل لديك وسيلة أخرى للضغط عليه؟

- الحبس في هذا الجسد وسيلة ضغط كافية، الإجزوسيا

والرموز على الحوائط تُعذبه. لكن هل لدينا نحن وقت لانتظار استسلامه؟

-هذا بالضبط ما أقصده. قيده ودعه هنا، ولنذهب لنرَ أين هذا الضحاك. تقول أنك تعرف مكانه!

- أعرف أين هرَّبوه، لكني لا أعرف تحديدًا موضعه. لقد خرج من رصد المغارة إلى رصد مكان آخر. لكن هذه ليست مشكلة مُطلقًا. ما يُقلقني هو مِهر هذا..

- ألا تعرف عنه أي شيء؟

- لم يُذكر عنه شيء إلا في حدود كونه إلهًا وثنيًا عُبد في عدة مناطق. ثمة كتاب عند سهير ربما يكون فيه ذِكر عن حقيقته.

- كتاب البُلهان؟ لقد ذكرته لي وأرسلت لي صورته. سأتصل بها وأطلب منها أن تبحث عن مِهر.

خرج مهاب ليزيل الرصد ثم يستخدم الإنترنت في معملي للاتصال بسهير. عُدت إلى أهرمان الذي كان يجول في المكان عاجزًا عن الخروج منه، فكلما اقترب من المدخل أشاح وجهه عن الرموز فوقه في ألم وتشتت للحظات.

- والآن، أعتقد أنني سأرحل أنا ورفيقي هذا وسأتركك تفكر

على مهل.

قال في شرود كأنه يحمل همًا:

- ستخسر أمامه يا آدم. ستخسر وستُطلق يد مخلوقات لا قِبل لك ولا لعالمك بها. في النهاية، البشر والشياطين عدوان منذ الأزل وتعلمنا رقص التانجو سويًا.

قالها بالإنجليزية، ثم بلا مقدمات انقض على عنقي وأغلق فكيه القويين حوله، وراحه يحرك رأسه يمينًا ويسارًا. سمعت صوت أهرمان الوحشي يدوي في عقلي وقد عجزت عن إدراك أي شيء حولي.

- «ماذا لو منعت عن مخك الأكسجين حتى يموت ويتحول إلى هلام؟! هه؟ لا يستطيع الشياطين الخلق من العدم، ولن يستطيعوا خلق مخ جديد لك. سيفنى عقلك الجميل المليء بالهراء هذا، ولن يبقى سوى شياطينك. تجربة تستحق، أليس كذلك؟»

«اقتلني.. لا يهم..»

«وصديقك؟ ليس رفيقك، بل صديقك.. سيُفك وثاقي حين أتلاعب بعقله وجسده حتى يُجن، وسأحتل جسده الشاب كما احتل شيطان الرعب جسد أخيه، وسينتهي كما انتهى التعس الصغير.. أنت تحبه يا آدم، وتحب سهير زاهر وتحب

ابن ديهيا الأسود. أنت عاجز عن الكراهية يا آدم، وكل ما تفعل ليس إلا تعرية بطنك ككلب خاضع كي يحبونك. أنت كلبهم يا آدم وستحميهم ولو على حساب نفسك..»

-٣-

أزال مهاب الرصد بعد أربعة محاولات فاشلة، كان يرتجف فيها ويتصبب عرقًا وهو يقرأ التعليمات. هرع إلى الحاسوب المحمول واتصل بسهير عبر ماسنجر، وحين ردَّت عليه بصوتها المرح حكى لها سريعًا ما يريد.

- مِهر؟ ميترا؟! أتعني أن مِهر هو من هرَّب الضحاك؟

- لا أعرف يا أستاذة.. أريدك فقط أن تقرأي لي ما يقول كتاب البُلهان عنه.

- أحرقت الكتاب يا مهاب. لكني أعدت رسم ما فيه يدويًا وفرَّقته داخل عدة كتب في مكتبتي، وكتبت محتواه مُشفرًا بمساعدة شريف، وحفظنا ملاحظات ساحر العراق في عقلي دون كتابة. هكذا تفرَّق الكتاب للأبد ولن يستطيع أحد مطالعة ما فيه.

- رباه! لن أتصور لحظة يا أستاذة أن تكوني بهذه الـ...

- أنا شخصيًا لم أتصور هذا. رجاء يا مهاب لا تُخبر لاشين الآن، دعني أخبره أنا في الوقت المناسب. ولا تخبر أسامة طبعًا بأن شريف متورط معي في هذا الأمر.

- لا تقلقي أبدًا.

- المهم، هل حكى لك لاشين عما حدث مع الضحاك بعد تحوله؟

- لا. كيف وصل إلى المغارة، ومن حبسه؟ من صنع الحزام؟

- سأحكي لك..

***

تعرفون أن لحظات الاحتضار طويلة، ربما تتسع لعرض كل لحظة عاشها الإنسان من قبل، لكن لحظات احتضاري كانت مختلفة..

تذكَّرت الحلم الثالث الذي حلمت به.

رأيت أنني أجلس على عرشي مُعلقًا بين الحيَّتين، رائحتي نتنة، لحيتي وملابسي ملطختان بالدماء، أمسك في يُسراي رأس رجل قد التهمت إحدى الحيَّات مُخه. هذا الرجل هو أخلص رجالي.

لكني كنت خائفًا، لأول مرة أخاف.. رأيت منامًا هو نبوءة نهايتي. شاب سيقتلني وسيعتلي عرشي، والآن أعرف أن الشاب من نسل جمشيذ، الذي تربى على حليب البقرة الطاهرة «بر مايه» سيصل إليَّ، وقد فشلت في منع المُقدَّر رغم كل ما أوتيت من قوة وبطش.

رعيتي يعينونه عليّ، ورغم خوفي، فداخلي شيء يريد الاستسلام، يريد العقاب.. يريد الراحة. وحين أتت ساعتي، صارعته كما يحق للملك الضحاك أن يُصارِع. معركة دامت شموسًا وأقمارًا عديدة. البطل اللعين يعرف كل شيء عن الحيّات، ويالسخرية القدر، فقد كان أفريدون هو أول من طبّب الأمراض التي تصيب بها الثعابين البشر، وهو من أنزل عليه أُهرا مازدا الأعشاب الطبية التي كانت تنبت حول الشجرة البيضاء.

في النهاية، أتت خاتمتي على يد مِقمعته ذات رأس البقرة. ضرب الراعي البطل أفريدون رأس الأفعى عن يساري، فانفجرت بدماء حوّلت الثلوج حولنا إلى خمر، ثم ضرب بها رأس الأفعى عن يميني، فغاصت في الأرض كما تغوص الأقدام في الوحل.

ثم تقدَّم مني، ذكّرني بثأر جده جمشيذ، وبشتات نسل الأخير، وبالعرش الذي اغتصبته. ذكَرني بجده طهمورَت «زيناوَند أي الكمي ويدوبَند»، مُقيد الشياطين.

هذا نسل يختلف عن كل البشر.. يختلف عني.. يختلف عن الجن والشياطين ومخلوقات السماء والأرض..

قلت له وأنا أنظر إليه والدموع تختلط على وجهي بالدماء:

- شكرًا لك يا أفريدون.. أرِحني، وأرِح مني..

أنا مُتعَب، حقًا مُتعب الموت راحة وقد استكفيت تمامًا من لعب دور الملك القوي الأسطوري الملعون. يرفع أفريدون مقمعته عاليًا وقد خلا وجهه من أي تعبير، بل أكاد أرى فيه الشفقة. من خلفه أرى أبي.. كلا ليس أبي الذي وسوس لي أهرمان بقتله، بل أبي أنا، الشيخ لاشين. ثم ينظر أفريدون خلفي ويُنزل المِقمعة. أشعر بدفقات هواء وتتطاير ذرات الثلج في عينيّ وأنا أنظر ورائي.

أهذا ملك الموت؟!

***

قالت سهير لمهاب وهي تخلع عويناتها وتُمسك قصبة أنفها:

- تقول الأسطورة أن مَلَكًا نزل على أفريدون، وطلب منه أن يُقيد الضحاك في مغارة جبل دِمَاوَند فيظل هناك يُعذَّب إلى الأبد، فالموت راحة له. لا تذكر الكتب من أين جاء حزام جلد الأسد السماوي هذا. يقولون أن المَلَك أعطاه له، ويقولون أن أفريدون هو من صنعه.

- مَلَك؟

- أجل.. هكذا تذكر الشاهنامه.

- غريب. حسنًا، وما علاقة هذا بمِهر وأهرمان؟

- مِهر، كما يذكر البُلهان، من مخلوقات الخفاء السماوية.

- خفاء؟

- نعم. ليس مَلَكًا، لكنه مخلوق خفي قادر على التشكُّل في هيئة شِبه بشرية ضخمة ذات أجنحة، ويمكنه كذلك السيطرة على عقول البشر بالأوهام، وقادر على جعلهم ينفذون مهامه لفترة. هي كائنات تسكن السماء في بُعد آخر، كما يسكن الجن في بُعد آخر.

- يستحوذ على البشر إذًا كالشياطين!

- يتحكم فيهم دون أن يحبس نفسه في أجسادهم. تحكُّم عقلي فقط.

- ما كل تلك المخلوقات؟!

- هذا ما يقول الكتاب، وما تشير إليه أساطير الأقدمين. لو لم أره بعيني فلن أصدق. أيُعقل أن تكون هناك كائنات لم نسمع عنها قط؟

- وما مشكلة مِهر هذا مع أهرمان؟

- لا أعرف. البلهان لا يحكي سوى عن المخلوقات الغريبة وقدراتها. لو أن مِهر هو من أوحى لأفريدون بترك الضحاك

وحبسه في المغارة، فما الفائدة التي ستعود عليه من ذلك؟

- وهل تخلى أهرمان عن الضحاك بلا صراع؟

- لقد أفسد الضحاك في الأرض قرونًا، وانتهت مهمته بالنسبة لأهرمان. لماذا يظهر في الصورة مرة أخرى؟ هذا ديدن الشياطين، يتخلون عن أوليائهم حين تسوء الأمور.

- وهل مخلوقات السماء الخفية هذه في صف البشر أما الشياطين؟

- لا أعرف. سأرسل لك صورة لرسمي الذي نقلته لشكل مِهر.

رأى مهاب على الشاشة رسم بقلم الفحم على ورق أصفر، يُمثل رجلًا ذا لحية طويلة يُمسك صولجانًا. طبع نسخة من الصورة، وقبل أن يغلق الاتصال قالت سهير:

- مهاب، هلّا أخبرت لاشين أنني مستعدة لتصوير عالم الظلمات إن كان هذا سيساعده في الحصول على حزام الضحاك؟

- لاشين لن يقبل منا مساعدة تعرضنا لخطر مباشر. عرضت عليه أن يستحضر شيطانًا في جسدي ليستجوبه لكن..

صدح صوت غريب من جهاز الووكي توكي، صوت احتكاك، ثم اختناق. ضغط مهاب زر الجهاز وصاح:

- لاشين.. هل أنت بخير؟! لاشين؟

تساءلت سهير في قلق:

- ماذا يحدث عندك؟

- لا أعرف. ربما الجهاز يستقبل تشويشًا لا أكثر. سأذهب لأطمئن.

- راسلني يا مهاب، لا تنس.

***

الموت صعب، حتى لو كان هذا هو كل ما أشتهي. الموت صعب.. النفق المُظلم المجهول مرعب.. اللاعودة نهائية أكثر من اللازم. شياطيني مذعورة، لا تعرف إن كان جسدي الميت قادر على استيعابها أم لا، لا يستطيعون فعل شيء سوى محاولات يائسة لنقل الأكسجين إلى مخي بأي طريقة

مرارًا ضغطت زر الاتصال في اللاسلكي، ولا أعرف إن كان مهاب سيسمعني.. أمسك بفكي الخنزير وأحاول إبعادهما عن رقبتي.

«ها أنت تتشبث بالحياة، تتشبث بكل ما تكره فيك. هذه هو رهاني الرابح! الضحاك لم يجرؤ على قتل نفسه، وفضَّل أن يُطعم أمخاخ البشر لحيَّاته..»

ابتعد أهرمان عني دون مقاومة، فأعتقد أنه لم يكن يريد قتلي من الأساس، هو فقد يهددني. ثم فطنت إلى التشابه بين ما فعلت مع مهاب وما فعل هو معي، وازدريت نفسي التي لا أستطيع الخلاص منها. تحسست رقبتي، لأشعر بالجرح يلتئم، أسعل بقوة وألم تشافي جروحي يُلهب جسدي البشري. أنا مُشوش..

قال الخنزير وهو يقف على قائمتيه الخلفيتين:

- ما قولك. حررني وسأساعدك. سأعطيك الحزام والضحاك، وسآخذ أنا مِهر أسيرًا لي.

- احكِ لي أولًا، ما علاقة مِهر بالضحاك؟

- مِهر هو من هرَّب الضحاك، لك أن تتصور ما الغرض من تحرير وحش كالضحاك من الأساس.

دخل مهاب وهو يمسك ورقة في يده وينادي عليَّ. رأى منظري المُزري فركع جواري:

- هل أنت بخير؟ ماذا فعل هذا اللعين؟

- لم يفعل شيئًا. مجرد رقصة تانجو.

- تانجو؟ هل اتصلت بي؟

- يبدو أن زر جهاز اللاسلكي انضغط أثناء رقصتنا الرقيقة.

ما هذا معك؟

- صورة مِهر من كتاب البُلهان.

نظرت إليها، واتسعت عيناي. هذا هو المَلَك الذي رآه الضحاك، المَلَك الذي أنقذه من الموت لينفيه في المغارة. لاحظت أن أهرمان ينظر إلى اللوحة، ثم قال:

- هذا هو مِهر. وهذه العصا هي صولجانه.

- ولماذا تريد الصولجان؟

- سأقلب به الحساء.

ضحك الخنزير وراح ينفخ كأنما هناك حساء ساخن أمامه وهو يتراقص على قدميه الخلفيتين. قال مهاب:

- لم أعرف أن الشياطين بهذه السماجة.

- أهرمان صادق.

خرجنا إلى الممر، وحكيت له حُلمي عن أفريدون والضحاك والرجل ذي البذلة الخضراء الذي هرَّبه، وحكى لي ما أخبرته به سهير. أعتقد أن مِهر كان يتحكم في الرجل ذي البذلة الخضراء، لو كان هذا هو عائل أهرمان البشري لعرفت أنه شيطان مُتجسد.

- ماذا سنفعل في أهرمان؟

- سأحكِم وثاقه هنا، وسأرحل إلى الجزيرة الحمراء. الأحلام التي رأيت فيها الضحاك ليست جديدة علي، فقد فعلتها ديهيا معي من قبل. هناك من ينصب لي فخًا، وأنا ذاهب إلى هذا الفخ.

***

لو كنت أريد التخلص من رفقة مهاب، لتخلصت منها بسهولة، لكن.. كيف أصف لكم هذا الإحساس؟ أتذكرون كيف كان أنيس يرفض أن يزج بي إلى متاهة السحرة؟ وكيف انصاع في النهاية لإلحاحي؟ أنيس كان يحتاجني رغم أنني –المفترض- أقل معرفة منه بعوالم الشياطين، هو الذي قضى عمره في الموالد برفقة أبي الدجال الشهير، وها أنا أحتاج لمهاب.. ولكم يؤلمني أن أكتب هذا.. أحتاج إلى ضعف مهاب، لأن فرط قوتي ضعف، وضعف مهاب كبشري هو طوق النجاة.

لا أقول أنني أخاف عليه، فهو لا يمثل لي شيئًا، لكنني أشعر بالمسؤولية تجاه الآخرين، وأتذكر عهدي لنفسي ألا أؤذي بشريًا لم يؤذني عمدًا.

لكني.. وحيد..

دعونا من هذا الكلام العاطفي، فالجزء البشري مني لا ينفك يُحرجني كذلك الشريان النافر في جبهتي. المهم أن مهاب أصرَّ على الذهاب معي إلى الجزيرة الحمراء، وأنا لم أرفض. ظل يثرثر كثيرًا عن مدخراته التي تكفي لقطع تذكرة الطائرة، لكني كنت أعرف أن مدخرات مهاب تكفي تذكرتين لحديقة الحيوان وكيسي بطاطس مقلية لا أكثر. أقنعته أنه مدين لي بثمن التذكرة، وسافر هو، بينما انتقلت أنا بقدراتي الشيطانية وانتظرته في مطار رأس الخيمة الدولي.

الفصل الرابع -١-

أبريل ٢٠٢٢

الإمارات- الجزيرة الحمراء.

كسائحين عاديين، ركبنا سيارة أجرة من المطار إلى الجزيرة الحمراء، وكان السائق الباكستاني يسترق النظر إلينا عبر مرآة السيارة ويحدق إلى وجهي في قلق كل خمس دقائق. أنا أتحكم جيدًا في مقدار الرعب الصادر مني، لكنه يظل موجودًا ويثير القلق.

سأل مهاب وهو ينظر إلى الشوارع عبر النافذة:

- أهذه هي الجزيرة الحمراء؟! لا أتذكر أننا عبرنا جسورًا.

- الجزيرة الحمراء هي منطقة واسعة تمتد على ضفاف الخليج العربي، وهي مدينة لا جزيرة كما يُشاع، لكن تتبعها قرية الحمراء وتقع في جزيرة منفصلة عن إمارة رأس الخيمة، ويربطها شارع وحيد بالإمارة، وهو شارع دبلن.

مجازًا، يُطلق على المنطقة والجزيرة اسم الجزيرة الحمراء، ويعود تاريخ تواجد السكان فيها إلى أربعمائة عام، وكانت تحكمها قبيلة الزغابة التي كانت تعمل في صيد اللؤلؤ.

- ونحن سنذهب إلى هذه الجزيرة؟

- سنرتجل.

لم أكن أعرف مكان الضحاك فيها تحديدًا، لكن ما يقال عن الجزيرة الحمراء غريب، وكما تعرفون، فكل أمر ما ورائي له تفسيرات أخرى واقعية، لذا فلا جدال بالنسبة للأغلبية أن سكان الجزيرة الحمراء هجروها إلى منازل أفضل، وأن المنازل المهجورة فيها لم تُهدم بهدف الحفاظ عليها كآثار، وأن المكان مظلم لا تصله الكهرباء لأن لا أحد يسكنه، وأن القصر الهائل في منطقة الظيت لا يسكنه الجن، بل إن مالكه تركه لأنه فقط لم يحبه، وأن من يهيمون في الطرقات ليلًا ما هم إلا مدمنون أو مخابيل. كل هذا حدث منذ خمسة وثلاثين عامًا، في وقت ما من نهاية السبعينات أو بداية الثمانينات.. مصادفة غريبة.

الشائعات أكثر مما يجب، وكما تعرفون فالبشر كالنعام، يعتقدون أنهم إن دفنوا رؤوسهم ولم يروا الخطر، فالخطر لن يراهم.

نزلنا في المنطقة الأثرية، وكنا في الصباح، وعدد لا بأس به من السائحين الآسيويين والأوروبيين يطوفون بين المنازل والحصون القديمة برفقة مرشدين. بعضهم وقف يثرثر مع الحراس هناك محاولين الدخول إلى بعض تلك المباني للتصوير، لكن الحراس كانوا يرفضون بشدة. سألني مهاب:

- يبدو أن هناك تعليمات مُشددة بحصر السائحين في أماكن معينة، وحرص على ألا يجول الناس بحُرية في المكان.

- لو سألت أي شخص لأخبرك بصوت عالٍ أنها تعليمات لحماية الآثار والسائحين على حد سواء، ثم سيهمس لك أن الجن يسيطر على المكان، ولا يُسمح لأحد بالبقاء هنا بعد الغروب إلا الحراس.

مشيت أنا ومهاب مع المجموعات، تمنيت لو أن سهير معانا –لتلتقط الصور طبعًا- لكني لن أرغمها على ترك أسرتها في رمضان.

قبل الغروب، أحضر لنا مهاب الإفطار وجلسنا نأكله في السيارة التي استأجرتها، ثم انطلقنا إلى حيث المنطقة الأثرية مرة أخرى.

***

عند أحد الحصون القديمة، رأينا حارسين آسيويين يثرثران. أبصرانا فتقدم واحد منهما وانحنى على نافذة سيارتي يحدثني بالعربية:

- ممنوع الدخول يا سيدي. عُد غدًا صباحًا.

ما إن اقترب أكثر ونظر لي، حتى تراجع خطوتين إلى الخلف مُتسع العينين. لا أنكر أنني أحب إثارة ذعر الآخرين من وقت لآخر، وهي لمحة طفولية لا أجد حرجًا في ممارستها، فالشياطين أطفال غيورون «قَمَّاصين» كما نقول في مصر.

هرول الحارس الآخر بناء على نداء الأول، وراحا يتحدثان همسًا، مال عليّ مهاب وسألني:

- هل أنزل لهما وأحاول تهدئتهما؟

- كلا. لو أردنا أن يتركانا وشأننا، فلنتركهما واستنتاجاتهما.

ببساطة، ضغطت دواسة البنزين وانطلقت إلى قلب المكان. يبدو أن الحارسين لم يكونا مُستعدين لمثل هذه الاقتحامات، لا يوجد في البلدة ما يدفع أحد إلى اقتحامها بهذا الشكل.

فقدت أثرهما بعد لحظات. أوقفت السيارة عند أول طريق ضيق بين المنازل المُهدَّمة، وأقمت الرَّصد حولنا باستخدام ساعتي.

- مهاب، سنظل هنا ساعتين أو ثلاثة حتى يهدأ البحث عنا، ثم سنخرج بحثًا عن أي أثر لنشاط شيطاني.

نام مهاب، وأطلقت أنا العنان لشياطيني كي تشعر بالمكان ومن فيه. أغمضت عينيّ، ورأيت ظلامًا. أنا في مكانٍ ضيق لا يسعني الوقوف فيه. رائحة فضلات بشرية تزكم أنفي.

شيئان ثقيلان مُتهدلان يتدليان من كتفيَّ. أنا الضحاك في هذه الرؤيا. أنا حبيس صندوق خشبي ضخم. صوت رجال يجتمعون حولي، الصندوق يُرفع ثم يجرونه أو يجذبونه على شيء مائل. أرتطم بالصندوق من الداخل في وهن، فأعرف أنني مُقيد بالأغلال في أرضيته.

صوت رجل يصيح في الرجال أن يتمهلوا.

أظل في مكاني ساعات، الهدوء يعم المكان لكني أسمع صوت تلاطم الأمواج بالقرب مني. أنا جائع للغاية..

قبل أن أغوص في النوم مرة أخرى، أسمع طرقات على الصندوق. أتساءل فتخرج الكلمات من فمي بالفارسية. يُجيبني صوت رجل وقور:

- وصلنا. اهدأ وإلا.. أنت تعرف.. اهدأ. سأفتح لك الآن.

أرى ضوء نيران فأغمض عينيَّ، النار المقدسة تحجب عني الرؤية للحظات، قبل أن أرى الرجل ذا البذلة الخضراء والأزرار الذهبية يقف أمامي، وكفاه خلف ظهره.

لا يوجد ميناء رسمية هنا، والسفينة الشراعية التي أوصلتني تقف وسط الماء. أنظر إلى كفيّ فأجدهما مجعدتين كالزبيب. أنا واهن للغاية.. جائع.

يدخل بعض الرجال إلى الصندوق الخشبي ويفكون أغلالي، ثم في رهبة يعينونني على الخروج إلى الرمال الباردة. الأصداف المهشمة تتخلل ما بين أصابع قدميَّ..

جوار النار رجلان مُقيدان، ومعهما مجموعة أخرى من الرجال يتحدثون الفارسية مثلي. أشار لهم ذو البذلة الخضراء فقربوا مني الرجلين، وقد بال أحدهما على نفسه رعبًا حين رآني.

- أول وجبة حقيقة لك منذ.. آلاف السنين يا بيورساب. أول وجبة لك في الأرض التي حكمتها، أرض العرب.

كنت أشم رائحة مُخي الرجلين وهما على قيد الحياة بعد. أنا جائع، واهن، ولا أريد أن أموت. أين سأذهب وهل سيقبلني الإله إلى جواره وأنا مُحمل بأثقال ما اقترفت وما سأقترف؟

أسير ببطء نحو الرجلين، أجرُّ الحيَّتين مُحطمتي الرؤوس خلفي. يردد الرجلان الشهادة ويغمضان أعينهما. هما ليسا فارسيين. أفتح فمي الجاف، تتشقق شفتاي وتنزف الدماء،

أندهش ألا حدود لفتحة فكّيّ وكأنني فرس نهر.

أهشِّم قمتي رأس الرجلين وألتهم مخيهما في شبق مجنون. أنا جائع، أنا هزيل..

أشعر بالقوة تدُب في أوصالي، جلدي ينتفخ وعضلاتي تتمدد. تبتعد الأرض عن قدميّ الشابتين إذ ترفعني الحيتان عاليًا، ثم تسعيان بي نحو الرجل ذي البذلة الخضراء.

يُخرج كفيه أخيرًا من خلف ظهره ويُشهر صولجانًا ذهبيًا في وجهي. لا أعرف إن كان رأسه يشع نورًا أم أن هذا تأثير الفزع الذي ألمَّ بي حين رأيت الصولجان.

كلاشين، أشعر بخليط الاضطراب والغضب والخوف الذي ملأ عقل بيورساب. هذا هو المَلَك الذي شاهده حين كاد يفتك به أفريدون، لكن لمَ يخاف الصولجان إن كان يخيف الشياطين فقط؟ هل صار شيطانًا؟

يطغى عليّ شعور بيورساب، فأريد أن أخر له ساجدًا، فقد أنقذني، لكن الحيَّتين تمنعانني من ذلك.

- أيا بيورساب، يا ذا الخيول الألف. لقد اختارك أُهرا مازدا كي يُعيد سلطان النسل المُبارك القديم. أيا بيورساب، أنت كفَّرت في سجنك عما فعلت مع الأبرياء، واليوم تتحرر لتُعذب من يستحق العذاب وتكون يد أُهرا مازدا ونوره

وناره.

سجد الرجال للنار، التي هي صورة أُهرا مازدا، ودمعت عيناي. في لحظات جال بذهني صور كل من خانوني وعاونوا أفريدون على قتلي. الانتقام هو أول خطوة لي في عالمي الجديد. اليوم أتحرر لأعذب من يستحق العذاب..

-٢-

بعد ساعتين ونصف، أزلت الرَّصد وخرجت من السيارة أتشمم الهواء. لا أثر لرائحة الكبريت أو التعفُّن، وإن طغا على الهواء رائحة اليود. الضحاك في مكان ما يُطل على الخليج، هذا أفضل ما استطعت استبيانه من أحلامي ورؤاي طيلة الفترة السابقة، وأدق ما جادت به عليّ مواضع النجوم في الرؤى ومقارنتها بالخرائط الفلكية منذ نحو أربعين عامًا.

بعد أن حكيت لمهاب ما رأيت للتو، خرج من السيارة، وسويًا سرنا وسط الأطلال نبحث عن أي دليل.

- لاشين.. ماذا كان يفعل الضحاك كل هذه الفترة في المغارة؟

- لا أعرف. أنا لا أعرف ماذا يحدث داخل الأماكن المرصودة.

توقف مهاب عن السير فجأة وقال لي:

- أنت لم تحلم بأية أحلام بعد ذلك الذي رأيت فيه نفسك الضحاك وقد عادت لك قوتك أليس كذلك؟

- بلى. مهما حاولت، لا أرى أي شيء.

- ربما يعني هذا أن الضحاك يعيش داخل مكان مرصود

هنا؟

كان لديه حق، مما سيُصعب علينا المهمة. ما هو المكان الذي يصلح لسكن الضحّاك؟ مكان منعزل، بعيد عن السائحين والمواطنين.. جزيرة قرية الحمراء..

ما إن تحركنا بالسيارة حتى وجدنا دورية أمنٍ تتبعنا. صاح مهاب وهو ينظر إلى الخلف:

- ماذا سنفعل؟

- الحلول كثيرة، لكني لن أترك السيارة الآن. سنحتاجها للتنقل، خاصة وأنت معي.

زِدت من سرعة السيارة، ولم تكن هناك طُرق كثيرة صالحة للمراوغة خاصة وأننا دخلنا الطريق الرئيسي الوحيد المُتجه إلى جزيرة القرية الحمراء، فلجأت للحل الثاني. أوقفت السيارة وترجّلت منها. فوقفت سيارة الدورية ورأيت فيها شابين أحدهما عربي والآخر الحارس الآسيوي الذي قابلناه في البداية. صاح الأول:

- قف مكانك. أبرز هويتك أو جواز سفرك.

لم أفعل أيًّا من أمريه، وتقدمت منه تاركًا العنان لشياطيني لتظهر في ملامحي وعينيّ. أعرف أنه يراني بشريًا، ويراني

كذلك شيطانًا لا وصف له. تراجع إلى الخلف، بينما ركب الأسيوي السيارة وهو ينادي على رفيقه الذي تجمَّد مكانه للحظات، قبل أن أمسَّ جبينه فيسقط فاقدًا الوعي.

رفع الآسيوي سلاحه وخرج من السيارة. كان مذعورًا وأنا أعرف أن تأثير شياطيني يغلب أي شجاعة. قلت له بالعربية:

- قف أنت مكانك. زميلك بخير..

- أنت.. أنت جني، أليس كذلك؟ قصص الوطنيين حقيقية! كنت أعرف!

- اهدأ وقف مكانك.

ألقى الشاب السلاح وكأنه يرجوني ألا أتبعه، وفرَّ يجري نحو الصحراء، لكن ظلًا عملاقًا ظهر فوقنا. هبط مهاب من السيارة ونظر ثلاثتنا إلى الأعلى. اتسعت عينا مهاب وهو يحدق إلى الطائر/الحيوان الغريب الذي يحوِّم فوقنا مُتجهًا نحو الآسيوي. هذا طائر كالنسر بجسد كلب أو ذئب، المسافة بين طرفي جناحيه تزيد عن ستة أمتار، صوته أشبه بالعواء ورائحته كرائحة الحظائر.

ما هذا الشيء؟!

اندفعت نحو الآسيوي المذعور محاولًا حمايته، وبدون

اتفاق، ضغط مهاب نفير سيارتنا بقوة كي يجذب انتباه الطائر. بالفعل استدار الأخير في الهواء بصعوبة، وفقد ارتفاعه، ثم هوى بمخلبيه على سقف السيارة.

سيطرتُ على شياطيني كي لا يفر الآسيوي، وصحت فيه أن يتبعني وناولته سلاحه، ثم أخذت سلاح الشرطي المُلقى على الأرض وضربت طلقة في الهواء. التفت الكائن نحوي وأطلق عواءه المُزعج، ثم قبض بمخلبيه على جانبي السيارة وطار بها مُبتعدًا، ومهاب بداخلها.

***

أطلقت الرصاص نحو الطائر ويبدو أنه أصيب، لكنه لم يسقط. عدوت نحو سيارة الدورية وركبتها، لكن الآسيوي تشبث بالباب وأصر على أن أترك السيارة.

- ابتعد من هنا. اطلب المساعدة لك ولرفيقك.

- لن أتركك تسرق السيارة، هذه عُهدة. توقَّف.

فتح الباب ودس جسده في المقعد المجاور، ثم حاول أن يدفعني خارجًا، لكنه ترك لي فرصة سهلة كي أمس جبينه وأفقده الوعي. انطلقت سريعًا وقد صرت داخل حدود جزيرة القرية الحمراء. فكَّرت في دفع الشرطي ذي الأصل الآسيوي خارج السيارة، لكن من قال أنه سيكون في

أمان هنا وحده؟ لم أشأ أن أفكر في مصير الشرطي الآخر، وتمنيت ألا تكون هناك مخلوقات أخرى تحوم حول المكان.

السيارة ثقيلة، والطائر يطير بصعوبة، لذا كنت أتبعه في الطريق الوحيد المُمهد، حتى انعطف يسارًا إلى الصحراء، فتبعته وأنا لا أعرف إن كانت السيارة قادرة على السير في الرمال. لن أفقد وسيلة التنقل المُتاحة الآن، فترجلت منها وحلّلت جزيئاتي ونقلتها إلى ظهر الكائن.

دعوني أخبركم أن الحقيقة تختلف تمامًا عن الأفلام، فأين عسى المرء يجلس على ظهر كائن مُجنح؟ لا مكان أمام الجناحين، أما خلفهما فالجناحان يضربان بقوة تُسقط أي شخص يحاول امتطاءه. وهذا ما حدث لي(12). سقطت فورًا في الصحراء بعد أن ارتطمت رأسي بجانب السيارة. سارعت شياطيني في إصلاح الضرر، وفورًا تجسدت مرة أخرى جوار مهاب.

- لا تقلق. أغمض عينيك وقاوم الألم الذي ستشعر به.

قبضت على ذراعه، وفكّكت جزيئاته، ثم نقلت نفسي وإياه إلى الأرض. حين تجسّد مهاب كان مذعورًا إلى حد غير مسبوق. لا يتحمل البشر تجربة الانتقال هذه. وقف وظل يدور في الصحراء المُظلمة مُتسع العينين، ثم اندفع نحوي

يُمسك بياقة قميصي ويصيح في:

- ماذا فعلت بي؟ أين أنا؟

- اهدأ. نحن في الجزيرة الحمراء. هل تذكُر؟

مكثنا قرابة نصف الساعة في مكاننا وهو يحاول تذكُّر ما حدث بعد سحورنا في منزله. أعتقد أن وعيه قد تضرر بشكل ما.

- سأعيدك يا مهاب إلى المدينة أنت والشرطي. هذا أفضل لنا جميعًا.

لم يُمانع، بل لم يتحدث أصلًا وسار معي صامتًا حتى عُدنا إلى سيارة الدورية. لقد فقدت حقيبتي وعليّ أن أعود إلى هذا المخلوق سريعًا قبل أن يتلهم سيارتي بما فيها أو.. لا أعرف حقًا ماذا يريد منها.

قُدت السيارة على الطريق الوحيد، وعبرت الماء الذي يفصلنا على باقي الإمارة، وتوقعت أن أرى الشرطي فاقد الوعي والثَّبة التي عليها القصر المهجور، لكنني وجدت الخليج أمامي والطريق ينتهي إلى ضباب.

ترجّلت ونظرت حولي. لا أرى المباني الحديثة المُطلة على الخليج، ولا أي معالم أخرى سوى الخليج اللانهائي. نحن على

الطرف الآخر من الجزيرة. كيف ضللت الطريق؟

عدت إلى السيارة ودُرت بها، ثم اتجهت إلى نهاية الطريق، قاصدًا الجهة المقابلة لإمارة رأس الخيمة، ومرة أخرى أرى الخليج والظلام والضباب. سيارة الدورية مزودة بجهاز تتبع وجهاز تحديد المواقع، الأخير يُشير إلى أننا عند الطرف البعيد من الجزيرة عند طرفي الطريق على حد سواء.

سألني مهاب:

- هل دخلنا في رَصَد؟

- كيف دخلنا فيه؟ أتعتقد أن جهاز تحديد المواقع قد تعطّل؟

تركت السيارة ورُحت أتتبع مواقع النجوم كما تعلمت من كتب أبي، وتأكدت بالفعل أننا لسنا في رَصَد.. أعتقد أننا وقعنا بالصدفة البحتة في مدينة مُسيَّجة ليلية..

-٣-

كان شريف الصاوي جالسًا جوار عُمر الذي كان يلعب في براءة بفانوس بلاستيكي صغير، بينما أمه غافية عند طرف الفراش، والقط مشموش يدور في الحجرة مادًا ذيله المنفوش على استقامته في توجس.

يضع شريف كفه على ظهر عمر، يُغلق عينيه ويحاول.. ماذا يحاول؟ يحاول شفاءه من المس؟

شريف زوهري -كما لا بد أنكم عرفتم من خلال مكالمة مهدي أبركان له في برنامج بعد المنتصف الليل- وهو قادر على الشفاء باللمس، وهي هبة لدى الزوهريين، وقد رأيت بنفسي ما فعله شريف ومهدي معًا عند مواجهة الفارس الأبيض.(13)

شريف قوي، وأخشى عليه شخصيًا من عرض مهدي انضمامه إلى أبناء ديهيا، المشرحة لا تحتاج إلى المزيد من القتلى على أية حال.

محاولات شريف كلها تؤدي إلى رد فعل واحد من عمر، يلتفت نحوه ببطء، ويُركز عينيه في عيني خاله، ويخلو وجهه الصغير من أي تعبير، وهو رد فعل مُخيف أكثر من أن يطير في الهواء أو يتحول إلى شيطان ذي قرنين. شيطان

الرعب مُتمسك بشدة بهذا الجسد، وبارع فيما يفعل حقًا.

طرقت سهير الباب في رقة، ثم دخلت وتربَّعت جوار شريف، ووضعت رأسها على كتفه. لاحظ أنها تُمسك هاتفها المحمول مفتوح على رسالة من مهاب.

- شريف.. مهاب سافر مع لاشين، لكني لا أعرف لماذا لم يتواصل معي من وقتها. أنا قلقة عليهما. لو أن مِهر هذا حقيقي، فهما في خطر. لاشين لن يستطيع ابتلاعه أو التصرف معه. اللعنة عليه وعلى ثقته الشيطانية بنفسه!

- الحقيقة يا أمي أنا أرى أن تلك الرحلة لم يكن لها أي ضرورة. لاشين يسير خلف فضوله، خلف تحدي قوته..

- أو يسير نحو حتفه. لاشين يريد أن يموت.

- ربما هو يظن ذلك فقط، لكن سعيه خلف جمع الأسلحة والكتب و.. و.. تشير إلى أنه مُتمسك بحياته، لا لذاتها، بل لقيمة ما أصبح عليه في مواجهة عالم الظلمات. لاشين لا يريد أن يموت. أعتقد أنه واثق في نفسه إلى حدٍ غير مأمون.

- ولماذا أخذ مهاب معه إذًا! الأحمق.. بل الأحمقان..

- أمي..

نظرت سهير إليه مُتسائلةً، فقال وهو يتحاشى النظر إليها:

- أعتقد أن الوقت قد حان كي أستكشف حدود قدراتي.. أتفهم قلقك من اقترابي من مهدي، لكن ما المانع أن أبحث.. أعني، نبحث أنا وأنتِ عما أستطيع فعله. قبل أن تقولي رأيك.. أنا لا أريد أن أفعل شيئًا سرًا، فلست مسرورًا من كل ما نُخفي عن بعضنا، وعن أبي تحديدًا الفترة الأخيرة. على الأقل لن أخفي عنكِ أنتِ شيئًا وقد وثقت في، وشاركتني حِمل كتاب البُلهان.

سهير تعاني مما يعانيه شريف، وكانت تتمنى لو أن أسامة أكثر قدرة على تفهُّم عالمهم الجديد. يظن الأبله أنه بتصرفاته الطفولية تلك وبتجاهله لكل الأخطار سيبعدني عن سهير، لكنه في الواقع سيضطر عائلته كلها للاقتراب مني أكثر.

شكرًا لك يا دكتور أسامة على خدماتك الجليلة!

- ماذا تريد أن تفعل؟

- رأيت بنفسي قدراتي على الشفاء، وأريد معرفة حدود قدراتي. هل أنا قادر على الشفاء باللمس؟

- وكيف اكتشف مهدي حدود قدراته؟

- ديهيا هي من اكتشفته، لكني لا أفكر في الانضمام إلى

أي صف سوى صف عائلتنا. لا أتصور حياتي مُكرسة للصلح وعقد المهادنات بين البشر والجن. لو أنَّ لعُمر أن يُشفى بأمر الله، فسأكون أنا من يشفيه.

- أنا معك في أي شيء تريد تجربته.

- وأنا معك في أي شيء تريدين تجربته.

ابتسمت سهير، ثم زالت ابتسامتها حين نظرت مرة أخرى إلى هاتفها وغمغمت:

- تُرى هل هما بخير؟

***

- مدينة مُسيَّجة ليلية يا مهاب.. هذا ليس رصدًا.

- مما يعني..؟

- أنني في مكان لم أختبره من قبل، ولا أعرف كيفية الخروج منه. يحكي أهل الصحراء دومًا عن تلك المدن ذات الأسوار التي تظهر أحيانًا في الليل، والتي تحيط بالقوافل فجأة وتحبسهم داخلها حتى الفجر. يقولون أنها مُدن الجان.

- إذًا ما علينا سوى الانتظار حتى الفجر.

- وحقيبتي؟ لن أتركها لهم.

فضولي يجذبني لمعرفة المزيد. حياتي لا تتمحور حول كيفية النجاة من المواقف الصعبة مثل باقي الناس. أنا أعيش لأتعلم، لأصير أقوى، وإلا فالموت أسهل من كل هذه المعاناة.. الموت حيًّا بالطبع؛ الاستسلام.

أنظر إلى الإسفلت الذي ينيره ضوء القمر، وأرى قطرات من دماء الكائن الجريح. على ضوء الكشاف حاولت أن أرى أثر الدماء على الرمال، لكن هذا كان صعبًا، حتى باعتمادي على تتبع رائحة الدماء. سألني مهاب وهو يرتكن إلى السيارة:

- ماذا تفعل؟

- أتتبع آثار الدماء.

- لا أرى شيئًا.. عمومًا نظرك الشيطاني أفضل من نظري في الظلام. ماذا سنفعل مع الحارس؟

- اتركه هنا. هل تود المكوث معه؟ وددت لو أعطيك ساعتي فتختبئ تحت الرَّصد، لكنني استخدمتها من سويعات، ولن يسعني استخدامها مرة أخرى قبل عشرين ساعة على الأقل.

- وحزام ديهيا في الحقيبة..

- والحقيبة مع هذا الـ.. هيبوجريف.(14)

- إذًا، لا مفر من أن توقظه ونذهب جميعًا للبحث عن

السيارة.

مسست رأس الرجل وأعدت له وعيه، فقام ممسكًا برأسه يتلفَّت حوله في حيرة. جلس مهاب مشوش الذهن على ركبتيه جواره وساعده على تذكر ما حدث. سأله الحارس:

- وما الذي جاء بكما إلى هنا؟ لماذا تُصران على اقتحام المكان؟

أجاب مهاب:

- أنا مهاب، هذا الواقف هناك، يُدعى آدم، ونحن صحفيان، ونعتقد أن هناك مخلوقًا غامضًا يسكن هنا.

- آه.. أنتما إذًا قد سمعتما عن الشائعات التي تحيط بالمنطقة.

- أجل. أنت تعرف أن الصحفيين مولعون بإثارة الشغب.

نظر لي مهاب وابتسم في مرارة. حيلة الصحفيين تغازل الفكرة الضبابية عند العامة عن هذه المهنة، حيث يظنون أن الصحفيين مجموعة فدائيين قد يبخعون أنفسهم من أجل سبق صحفي. هكذا تقبَّل الشاب الفكرة، وأضاف:

- لكن هذا لن يعفيكم من المسؤولية القانونية. لن أترككما حين نعود.

- بالطبع.. نعتذر لك.

- كيف.. كيف خرجت من السيارة؟ وأين المخلوق الذي خطفك؟

- قفزت منها حين اقترب من الأرض، والسيارة مع الكائن.

مهاب بارع في معاملة الناس على قدر عقولهم. هز رأسه لي أن كل شيء على ما يرام. بعد محاولتين فاشلتين للتواصل مع الشرطة عبر اللاسلكي وعبر الهواتف المحمولة، تركنا السيارة ومشينا في الصحراء، أتتبع أثر رائحة دماء الكائن، وأراقب السماء كي لا نضل الطريق.

***

بعد ساعة تقريبًا، بدت أمامنا شجرة عملاقة، في حجم مُجمع سكني كامل، ويتدلى من أغصانها السفلية بلورات حمراء تفوح منها رائحة دماء الكائن. نظرت إلى أعلى ورأيت جانب السيارة باديًا من خلف أوراق الشجرة العريضة. قال الحارس وهو ينظر إلى أعلى:

- ولدت في رأس الخيمة، ولي أصدقاء من الوطنيين كنت أسمع منهم -نقلًا عن صيادي اللؤلؤ قديمًا- أساطير عن تلك الجزيرة بالذات. الأمر مختلف عن حكايات البحّارة المُعتادة، خاصة أن الغرابة بدأت منذ نحو من أربعين عامًا، أي أن

الحكايات لم تتطور إلى أساطير محلية بعد.

سأله مهاب وحِس الإعلامي يدفع تشتته جانبًا:

- سمعنا وقرأنا بالفعل عن أولئك الذين يهيمون في الطرقات ليلًا، وعن القصر المسكون، و..

- أنتم لم تسمعوا شيئًا. ما نتداوله سرًا أشد هولًا، ولو سمعتما به ما كنتما ستأتيان إلى هنا من الأساس.

نظرت نحو الحارس، فسأله مهاب مُستزيدًا. أجاب الشاب:

- لنتعرف أولًا.. اسمي بندر، أبي إماراتي كان يعمل على سفينة تجارية، وأمي فلبينية. أنا حارس أمن هنا، وأعمل في مجال السياحة منذ سنوات. عملت في جزيرة كيش الإيرانية بين عمان والإمارات وإيران كمُرشد سياحي غير رسمي، ثم لظروف عائلية، عدت إلى رأس الخيمة منذ أربعة أعوام.

على ذكر الجزيرة الإيرانية، تبادلت ومهاب النظرات. قال مهاب:

- أرى أن والدك أيضًا له صلة بالبحر.

- أجل. ولهذا كانت لنا صلة دائمة بالبحارة وصيادي اللؤلؤ.

قلت لهما وأنا أتهيأ لتسلُّق الشجرة:

- هلا راقبتما لي الأجواء وأنتما تتسليان بالحكايات حتى أصعد وأجلب حقيبتي؟

أومأ مهاب، ومال عليه بندر هامسًا:

- صديقك هذا غريب.. مُقبض.

- هو طيب، لكنَّ حاجبيه الحادين يعطيان وجهه طابعًا شريرًا.

- أحدثك صدقًا.. لقد أفزعني، وأنا الذي ظننت نفسي اعتدت مناوشات الجن في الجزيرة.

صحت من بين الأغصان:

- أسمعكما..

- احكِ يا بندر.. احكِ..

- منذ نحو أربعين عامًا، وكانت الجزيرة بعد مأهولة بسكانها، يحكي الصيادون عن يوم غائم أبصروا فيه سفينة شراعية تُقبل نحو الشاطئ، ومنها نزل صندوق عظيم له رائحة لا تُطاق. يومها أعطاهم رجل رزق يومهم كي يخلوا الشاطئ له، فوافق الأغلب، لكن ثلاثة من الصيادين لم يرتاحوا لهذا الرجل، واختبئوا حتى المساء. جاء رجال فأشعلوا نارًا عظيمة، ثم جاء الرجل الغريب وأمرهم بفتح

الصندوق، فخرج منه كائن مرعب تخرج الحيات من جسده، وللمفاجأة رأيا رجلين من رفاقهما مقيدين، والتهمهما الوحش الذي خرج من الصندوق.. بمعنى أصح، التهم رأسيهما.

قال بندر أن الصيادين الثلاثة قد فروا هلعًا، وفي الصباح أخبروا زملاءهم الذين لم يصدقوهم، إلا عندما بدأ الأهالي يرون حية هائلة ذات أجنحة تجوب الطرقات ليلًا، ورأوا أثار أقدام بشرية ضخمة على الشاطئ. ثم بدأ الناس يخرجون ولا يرجعون.. كل يومين أو ثلاثة يُفقد شخصان.. شخصان فقط.

قال مهاب وهو يهز رأسه ويراقبني وأنا أهبط:

- وبدأت الهجرة من الجزيرة.

- أجل. لم أحكِ لكما بعد عن الكوابيس التي كان يراها الناس. كوابيس مُوحدة التفاصيل عن رجل تخرج الأفاعي من جسده، وكان الحالم يشعر في منامه أنه هو المسخ، ويعاني ما يعانيه. تعرفون أن لدي فكرة عن الأساطير الإيرانية، وأعرف أن الثعبان المُجنح هو أزدها، وأن الرجل ذا الأفاعي هو الملك الأسطوري الضحاك..

نزلت على الأرض وأنا أحمل حقيبتي وحقيبة مهاب. ظل بندر ينظر خلفي إلى الشجرة وقد صمت فجأة.

- لم أتحدث من قبل عن تلك الحكايات إلا الآن. كنا نعتبرها مجرد قصص متأثرة بصلة البحارة بالإيرانيين لا أكثر. أنتما تعرفان العلاقة القديمة بين البلدين والـ.. هذه الشجرة.. وهذا المخلوق الذي رأيته.. أنا أعرفهما..

حدقت في وجهه أنا ومهاب، وقد بدا لي أن هناك نسقًا فارسيًا يتكون. قال بندر:

- هذا الطائر إما شمروش أو كاماك.. وهذه هي شجرة هارفيسبتوخم.

سأل مهاب وهو يُمسك رأسه كأنما يعاني من طنين:

- وهل هذا شيء سيئ؟

- لو أن الطائر الذي هاجمنا هو كاماك الشرير، فربما يعني هذا أن صديقك نجح في إصابته، وإلا فأين اختفى؟

أخرجت حزام ديهيا، وهممت أن أطلب منهما أن يعودا إلى السيارة ويختبئا فيها تحت الرصد، لكني شممت رائحة خبيثة، ثم سمعنا صوت حفيف أجنحة عملاقة. لقد جاء الطائر الآخر.

وضعت الحزام على الأرض وصحت:

- اقتربا مني..

ظل مهاب في مكانه، فجرَّه بندر جرًا وهو يتساءل ناظرًا نحو الحزام:

- ما هذا؟ وماذا تفعل؟

- اخرس الآن.

أدرت الحزام وأنا أنظر نحو الطائر. لكنه ظل يقترب منا، ثم ضم جناحيه واندفع نحونا بسرعة فائقة. أمسكت كفي مهاب وبندر ولم أجد مفرًا سوى الاختفاء بهما، لكني وجدت نفسي أسقط أرضًا وقد ارتطم بي شيء ثقيل تفوح منه رائحة الدماء الغريبة. لدهشتي، انقض الكائن الجريح على الآخر، وتكوَّرا سويًا ثم تدحرجا بعيدًا. أدرت حزام ديهيا مرة أخرى، لكن شيئًا لم يحدث.

- ماذا تفعل؟! لنفر من هنا!

صاح بها بندر، ونفَّذ على الفور فانطلق يعدو في الاتجاه الذي يظنه اتجاه الطريق العمومي. الظلام كثيف والضباب خانق، فاختفى الشاب عن عينيّ بعد عدة أمتار فقط.

تقدمت عدة خطوات وأنا أقبض على عصا أبي لا شعوريًا. شياطيني تتساءل، تشعر بالذعر. ما نحن فيه خارج مملكتي البشر والشياطين، وربما مملكة الجن كذلك. أول ما برز خارجًا من الضباب كان رأسي حيَّتين، كل واحدة في حجم

حصان كبير، ثم تبعهما جسداهما الأسطواني المُحرشَف كجلد التمساح. تراجع مهاب وهو يُمسك رأسه. همس لي:

- لاشين.. أنا..لست بخير..

ثم هوى جالسًا تحت الشجرة. ركعت على رُكبتي وطرقت الأرض بقاعدة العصا، فتصدَّعت الأرض حولنا. لن يعبر هذا الصدع مخلوق ظلامي أبدًا. تراجعت الحيَّتان مترًا إلى الوراء، ثم تمدد جسداهما وسعيتا نحوي. ما الضحاك إن لم يكن مخلوقًا من مخلوقات الظلام؟!

مسبحة أبي المكونة من ستة وستين ضرسًا بشريًا تطوق كفي، ولا تفارقه. مسبحة سُلم الساحر..(15) أضغط على كل ضرس وأتلو اسم الجني المحفور رمزًا عليه. لا أحب الاستعانة بتلك المسبحة، لكني حقًا لا أعرف ما أواجه.

أرى أخيرًا الجسد الذي تحمله الحيَّتان، يشق الضباب، مقرون الحاجبين، أبيض البشرة، طويل الأنف، مُدبب اللحية، يرتدي رداءً ملفوف حول جسده، مربوط بحزام ذهبي منقوش بوجوه الأسود، يعتمر تاجًا يشبه في نقشته رسم أشعة الشمس.

الضحاك.. بيورساب ذو الألف فرس..

وكان بندر متدليًا من قبضته الملفوفة حول عنقه.

ألقاه أرضًا، ثم أنزلت الحيَّتان الملك إلى مستوى الأرض. سار نحوي حافيًا، فقمت من ركوعي فورًا ورفعت رأسي. لا أريد أن يظنني أركع له. بصوت قديم عتيق، لا أعرف كيف أصفه، قال:

- قررت أن أفتتح انتقامي ممن آذوني بك، يا آدم..

- لم أوذك.

- حُبست قرونًا، فكيف لي أن أنتقم إلا من أحفاد من آذوني؟

- من جدي الذي آذاك؟

- أول من صاد الشياطين من البشر، النسل المُقدس الذي جاء منه أفريدون.

- من هو؟

وتذكرت الحُلم الذي كنت فيه الضحاك يوم سُجن..

***

..في النهاية، أتت خاتمتي على مِقمعته ذات رأس البقرة. ضرب الراعي البطل أفريدون رأس الأفعى عن يساري، فانفجرت بدماء حوَّلت الثلوج حوْلنا إلى خمر، ثم ضرب

بها رأس الأفعى عن يميني، فغاصت في الأرض كما تغوص الأقدام في الوحل. ثم تقدَّم مني، ذكَّرني بثأر جده جمشيد، وبشتات نسل الأخير، وبالعرش الذي اغتصبته. ذكَرني بجده طهمورَت «زيناوَند أي الكمي ويدوبَند»، مُقيد الشياطين.

هذا نسل يختلف عن كل البشر.. يختلف عني.. يختلف عن الجنِّ والشياطين ومخلوقات السماء والأرض..

***

قال بيورساب بعد أن أخضع الطائرين تحت قدميه، وراح يُمسد على جرح الجريح منهما:

- بعد أن قتلت جمشيذ، تشتت نسله في الأرض، وأغلبه هرب إلى هايستان(16) وعمل في الرعي، حتى جاء أفريدون، وتربى على حليب البقرة السماوية المُقدسة، وتآمر مع كل من يعرفني حتى وصل إليَّ..

- لكني موقن أنك أردت الموت، موقن أنك شكرت أفريدون وطلبت منه أن يُنهي حياتك.

- لكني لم أمُت.. وعبر القرون تعلمت أن من لم يُمت حين جاءته فرصة الموت، عاش جبانًا، ملعونًا. أنا أنتقم من نسل أفريدون الذي جاءت منه سلالة تختلف عن كل المخلوقات، سلالة لاجين.(17)

هززت رأسي في فهم. كنت أتوقع دائمًا أن يوقعني أجدادي في المتاعب مثلما أوقعني أبي فيما أنا فيه. ويطلقون عليها سلالة مباركة!

- كيف وجدتني؟

- هذا أسهل ما يمكن. هل يُعقل تسأل أحدًا كيف وجد الشمس؟

- هل مات؟

وأومأت نحو بندر، فقال الضحاك:

- ليس بعد.

- يمكنك أن تحاول قتلي، أريد أن أجرب.. لكن لا بد أن يعود رفيقاي أولًا إلى المدينة.

- وماذا ستأكل هاتان؟

أشار إلى أفاعيه. طار بيورساب في الهواء محمولًا كعادته، ثم تراجع إلى الضباب وهو يقول:

- لنا لقاء..

عقدتُ حاجبيَّ، فلمَ لم يُنهِ الأمر الآن؟ لماذا لم يحبسنا؟ هرعت نحو بندر، فوجدته فاقد الوعي. لطمته، فشهق وتألم،

وجلس ينظر إليَّ في غير فهم.

- ماذا حدث؟

- ألا تذكر؟

- لا أذكر إلا أنني كنت أجري، ثم.. لا أذكر.

التفتُّ خلفي لأجد مهاب مُمسكًا برأسه مُترنحًا وهو ينظر نحو الفالق في الأرض.

- لماذا فعلت كل هذا يا لاشين؟ هل جُننت؟

- ماذا فعلت؟

- كل تلك الأمور التي فعلتها بالمسبحة و..

- ألم ترَ ما كان أمامي؟

- لم أر شيئًا.

قمتُ، تلفت حولي مُتفحصًا الرمال خلف الفالق. لا يوجد آثار زحف.. لا يوجد سوى آثار أقدامنا. من بعيد أرى الطائر الشرير يدور في دوائر كأنما هو خائف من الاقتراب من الأرض، بينما الآخر الجريح مُستكين، لا يُنزل عينيه عن السماء. يبدو أنني أصبت الكائن الطيب.

سأل مهاب وهو يحمل حقيبته على ظهره:

- ما موضوع هذا الطائر.. شمورت هذا.

قلت له في حنق:

- شمورت؟ له جناحان، لكنه ليس دجاجة. اسمه شمروش.

أجاب بندر:

- هذه شجرة كل البذور في الأساطير الفارسية. شجرة الحياة، ويحيا عليها طائران خياليان، أحدهما يُمثل الخير والآخر الشر. من تلك الشجرة تنبت كل زروع الأرض، وتُعتبَر هي عُرف طائر السيمورغ..

قاطعته:

- ما كل هذا؟! أنا لم أسمع أو أقرأ عن وجود كل تلك الكائنات في مكان واحد إلا في الأساطير.

قال مهاب:

- كتاب الـ.. الكتاب الذي مع سهير، كان فيه أكثر من هذا.

- أعرف أن حياتي وما ورطتكم فيه يبدو لك خياليًا كأفلام الرعب، لكنه ليس تخريفًا أو خرافات. هناك نسق لكل شيء. البشر مثلًا نوع واحد، بشر.. بعضهم لديه قدرات مختلفة، بعضهم أبيض أو أسود.. لكن هناك روابط تجمع بين أشكالهم وتركيباتهم وثقافاتهم. كل المخلوقات هي أمم مثلنا.

الجن أمة متشابهة، الشياطين.. مخلوقات السماء والجبال وجوف الأرض، لكن لا يوجد كائنات مُنفردة أو ثنائية إلا في الأساطير. لن تجد إلا حورسًا واحدًا، أبا الهول واحدًا، مينوتوروس واحد.. أتفهمني؟

- أنت واحد يا لاشين.

- أنا لست مخلوقًا متفردًا. أنا بشري جرت عليه الأقدار كما جرت على بيورساب فصرنا مسخين.

هزَّ مهاب رأسه، ونظر لي بندر مُتسع العينين وهو يصيح ويتراجع إلى الخلف:

- أقسم بالله كنت واثق أنكما لستما ما تزعمانه.. على الأقل هذا ذو الحاجبين الشريرين.. أنت.. أنت مسخ؟ من أي نوع؟ أنت تعرف بيورساب؟ تعرف اسم الضحاك الأصلي؟

أشرت إلي الضباب خلفه في سأم، وقلت:

- آخر مرة فررت فيها فقدت الوعي. اجلس هنا ولا تزد الطين بلة.

نصاع فورًا، وبدا لي واضحًا أن الهلع قد أطاح بقواه العضلية. أنرت الكشّاف وتقدّمتهما متجهين نحو السيارة التي تبعد عنا مسيرة ربع ساعة تقريبًا. في الطريق حكيت

لبندر باختصار من نحن وما جئنا لشأنه.

- كل شيء يتضح الآن. المخلوق الذي حكي عنه الصيادون هو الضحاك ذاته!

- أجل. ذكاؤك لم يتأثر بالخوف.

لم يفهم سخريتي. سرنا وكل منا يُفكر في همّه، أما أنا فلا أريد سوى أن أعيد هذين الهزيلين إلى أي مأمن. سأل بندر:

- وأنت، لم ترَ في أحلامك كيف جاءت تلك المخلوقات إلى هنا؟

- كلا. ربما نقلوها بذات الطريقة. لكن أين باقي تلك الكائنات؟ هل نقلوها كلها إلى هنا؟ نقلوا أجناسًا كاملة؟ ولأي غرض؟

قال مهاب أخيرًا:

- لأي غرض.. نحن جئنا إلى هنا بحثًا عن حزام الضحاك، الضحاك يريد أن ينتقم منك كما حكيت، لهذا أرسل إليك تلك الرؤى، واضح أنها مُرسلة منه.. مِهر نقل الضحاك إلى هذه الجزيرة.. لأي غرض؟

- سؤال وجيه. بيورساب كان يحكم العرب في الماضي كما قرأت في الأساطير، فلو أنه كان حقيقيًا، فربما أعاده مِهر إلى

هنا كي.. كي يستعيد حكمه؟

- وبماذا سيستفيد مهر من كل هذا؟

- الحقيقة أنا لم أرَ المخلوقات السماوية من قبل، ولا أعرف عنهم الكثير.

سألني بندر:

- لكنهم ليسوا ملائكة، أليس كذلك؟

- بالطبع ليسوا ملائكة. لا جدال هنا. البعض يؤمن أنهم فضائيون، والبعض يؤمن أنها مخلوقات السماء وهم من صنعوا البشر بتقنيات شبيهة بالاستنساخ والهندسة الوراثية، ويعتقد السومريون والأكاديون والآشوريون أن مخلوقات السماء هي آلهة، ويسمونها الأنوناكي.

- وكلها لها ذات الوصف؟

- الأجساد البشرية، اللحى الكثيفة، الأجنحة.. حسب علمي، فالملائكة إما تظهر على شكلها الحقيقي الذي رآه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإما تتجسد في شكل بشري عادي كما تجسدوا للنبي إبراهيم والنبي لوط عليهما السلام. لا أجنحة ولا الشكل الأيقوني الذي اتفقت عليه بعض الأساطير القديمة. لكني أتحدث طبعًا من مُنطلق إيماني كمسلم.

تذكَّرت الكائنين الذين رأيتهما في حُلمي، ذوي الأجنحة المُقيدين إلى جبلين. كل شيء يتصل ببعضه، لكني لا أرى الرابط.

لأول مرة منذ أعوام أخرج إلى دائرة تُهددني. شياطيني خائفة، لكنني مُستمتع!

***

ركبنا السيارة. لا يوجد ما أفعله وهما معي، لا سبيل سوى أن ننتظر حتى الصباح، حتى ينفك الحصار. بعد أقل من ساعة، بدأت ظاهرة أخرى..

- أهذا صوت صرخات؟

أجابني بندر:

- أجل.. آتٍ من ناحية الشمال.

نظر مهاب إلينا متسائلًا:

- أي صوت؟

نزلت من السيارة وحذا بندر حذوي. بالفعل الصوت بعيد لكنه واضح، رهيب. لسبب ما لا يسمعه مهاب.

- هذه ليست صرخات بشرية. هذا صوت شياطين تُعذَّب.

امكثا هنا وأقيما الرصد باستخدام حزام ديهيا. لو لم أعد حتى الفجر، عودا بالسيارة ولا تبحثا عني. اتفقنا؟

- لكن يا لاشين..

- مهاب.. لا نقاش هنا.

قبل أن يقول شيئًا، نقلت نفسي إلى أقرب نقطة من صوت الشياطين. الأرض سوداء كالإسفلت الرخو، يتصاعد منها رائحة خانقة.. الأصوات تتزايد. أسير فأشعر بالأرض السوداء تجذبني إليها. ما هذا؟! ما يشبه الأكف تخرج من بين شقوق الأرض، تحاول التشبث بأي شيء. الضباب يخفي السماء عني. أضيء الكشاف، فأتبين كتلة سوداء تتقد كالجمر، ارتفاعها يزيد عن الثلاثة أمتار. كتلة حية تحاول الفرار من المخالب التي تجذبها. كلما اقتربت منها شعرت ببرد أكبر.

يلتفت أعلى الكتلة نحوي، هذا وجه ممسوخ، مقلوب. الفم في الأعلى يصرخ وما حوله يتوهج ثم يسيل على الأرض مكونًا تلك المادة اللزجة. هذه شياطين.. نبضات قلبي تتسارع.. شياطيني تصرخ بي أن أهرب من هنا.. أسأل الكائن:

- من أنت؟

يجيبني بصوت كالفحيح، يُغريني بالاقتراب:

- تعال.. تعال أيها الشيطان.. أنا هنا أستمتع.. كلنا هنا نستمتع.. اقترب ونل ما نِلنا..

ثم يدوِّر وجهه ويصرخ، الأرضية تمتصه، أو هو يسيل عليها لا أعرف. هذا شيطان يتعذب ويريدني أن أتعذب مثله.. يمد يده الطويلة المُجنحة نحوي، أتراجع لكنه يتشبث بي ويجُرَّني نحوه. تنقطع حقيبتي وتسقط، أحاول أن أترك العنان لشياطيني كي تزيد قوتي. ما هذا المكان؟

هل هو عالم الظلمات؟!

قطع من المادة السوداء تلتصق بلحمي، فيحترق، وتنز منه بدوره مادة مُشابهة.

تصرخ شياطيني: «هذا شيطان مسموم!»

مسموم؟!

أشعر بالدوار، بالألم.. شياطيني تتسرب مني إلى الأرض، أشعر كأنني أنسلخ عن نفسي.. تعود إلى جسدي كل إصابة قاتلة أصبت بها منذ تحولي إلى مسخ.

هذا هو انتقام الضحاك ولا ريب.. الضحاك يقتلني..

لكني لا أريد أن أموت.. لا أريد!

يسطع ضوء قوي من خلفي، فيتركني الشيطان فورًا ويتراجع، يصرخ وتسيل عيناه المقلوبتان، يتحول إلى رغوة سوداء وتخفت نيرانه. الأيادي المُمتدة من الأرض تسارع لجذبه إلى الأسفل.

أنظر خلفي. أضع كفي على بطني أحاول غلق جرحها الذي فتحه أهرمان، الدماء تسيل من عنقي، ومن الطعنات المُتعددة التي تعرض لها في حياتي.. شياطيني تسيل من جسدي مع الدماء..

هل أموت حقًا؟

أرى أمي في جلبابها الأبيض، أم هي والدة مهاب؟ أرى أنيس.. أبتسم.. أخيرًا سأذهب إليهما..

أوحشتماني أيها الغاليين..

***

بمجرد اختفائي، خرج مهاب من السيارة وتلفَّت حوله. سأل بندر:

- أما زلت تسمع الصوت؟

- أسمعه.. بل انظر هناك، هل ترى هذا الوميض؟

- لا أرى شيئًا.. ماذا حدث لي؟ اسمع، لن نترك لاشين هناك

وحده. لك حرية الاختيار بين البقاء هنا أو الذهاب معي إلى هناك.

تردد بندر قليلًا وتفحَّص خزانة مسدسه، ثم قال:

- سأمكث هنا. هذه هي مشكلتك أنت وصديقك الشيطان.

- لا بأس. وحلول صديقي الشيطان ستظل معي. لن أترك حزام ديهيا معك، ولن أضعك داخل رصد وآخذ الحزام معي فتُحبس إلى الأبد لو لم نعد. فقط أشر إلى حيث الضوء الذي تتحدث عنه.

نظر بندر حوله إلى الخواء والضباب، وتحاشى النظر إلى مهاب. قال الأخير:

- أشر نحو المكان الذي ترى فيه الضوء.

أشار بندر إليه، فحمل مهاب حقيبته وحزام ديهيا. لم يتخلَّ بندر عن السيارة، فاضطر مهاب إلى السير نحو ما لا يراه. كان مرهقًا، سقيمًا. من وقت لآخر يمسك برأسه ويهزها. يشعر أنه لا يستطيع استيعاب ما هو فيه، لا يستطيع تذكُّر السويعات السابقة بدقة. أحيانًا ما كان يرى لمحة من الضوء الذي تحدث عنه بندر، لكنه سرعان ما كان يختفي. يسمع ذلك الصراخ المريع لثوانٍ، ثم يعود الصمت.

لكن الشيء الوحيد الذي كان يذكره جيدًا كلمات أمه له عني..

«مهاب.. هذا الشاب يحتاج إليك، يحتاج إلى صديق. أتذكُر عمرو أخاك وحسن؟ كيف كان حسن يحتمي بنا وكأننا من دمه ولحمه؟ كلنا يبحث عن عائلة يختارها وتختاره، وآدم لم يجد عائلة تقبله ولا صديق لا يخشاه..»

يشعر بالذنب تجاهي لسبب يعجز عن الإمساك به. هل لأنه يعتبرني شيطانًا؟ هل أذكره بشخص آخر؟

ظل يسير وسط الرمال والبرد، يقوده قلبه أكثر مما يقوده عقله وعيناه، فقط يتمنى الوصول.

***

الضوء يغشى عينيّ. كل من اقترب من الموت تحدَّث عن الضوء، عن رؤية الأحبة..

رائحة عطرة للغاية تفعم أنفي، رائحة أمي، رائحة أخي أنيس، رائحة زهور البرتقال في أرضنا، رائحة سهير زاهر الزهرية الشبيهة بالصابون..

العقل يفرز عند النهاية كل ما من شأنه تخفيف لحظات الموت.. هكذا يفترض العلم.

صوتٌ هادئ يحيط بي، يهمس إليَّ:

- هذه هي النهاية يا آدم. لا تخف.. لا تخف.. هل آذيت بريئًا؟

- كلا..

- هل قتلت نفسًا بغير نفس؟

- كلا..

- هل كذبت؟

- كذبت شياطيني، لكنني لم أكذب..

- آدم.. لا تخف..

ماء مُعطر بارد يُصَب فوق جسدي. أشهق.. أتصور الدماء تُزال عني.

- آدم.. سترحل معي لو أردت، لكن يمكن أن أمنحك فرصة البداية الجديدة. كل شيء فعلته سيُغفر، ستبدأ عهدًا آخر تكون فيه يد الحق في الأرض.

- أريد الرحيل.. أنا مُتعب..

- لك الرحيل لو شئت..

كل شيء في جسدي يسكن، حتى دقات قلبي. أنا خفيف..

حر..

أرى المشهد من أعلى، جسدي يركع جواره كائن منير مهيب. هل اجتزت حقًا الموت؟ هل قبلني الله؟!

***

التفت بندر متوترًا كي يتأكد من غلق جميع أقفال أبواب السيارة. رغم البرد، كان يتصبب عرقًا. يضيء الكشاف ويدور بشعاعه حوله، فينعكس الضوء على الضباب. متى تكاثف إلى هذا الحد؟

تمنعه كرامته من النداء على مهاب. لكنه مذعور.. ماذا لو عاد الطائر الخرافي وأخذه بسيارته؟ ماذا لو ظهر له الضحاك أو الثعبان المُجنح أو الهائمون ليلًا؟

تهاجمه ذكريات طفولته وحكايات الصيادين، يكاد يرى أمامه ما رآه الصيادون الثلاثة. ماذا لو صار وجبة الضحاك الليلة؟

لكنه رأى الكثير، وطيلة حياته كان يسمع وترسو في عقله تلك الأساطير لكنها لم تتحقق قط. الأساطير أساطير، ويبدو أنه يهلوس لا أكثر.

أجل، هي هلاوس. مهاب مُشتت ولا يرى ما يرونه. هذا

الساحر الشيطان يمارس عليهم ألاعيب ما. ما الذي يدفعه للثقة فيه؟

الظلال تتحرك حوله وسط الضباب..

ما هذا؟ ظلال بشرية.. شبه بشرية، عملاقة، تسري ولا تسير. الظهور المُحدبة تُثير خياله وتُكمل صورة ذهنية لديه، هؤلاء غيلان ممن تعج بهم صحاري العرب.

يضرب أرضية السيارة بقدميه ويكتم صرخته. يُدير المُحرك وينطلق أمامًا. رغم سرعته التي يبينها مؤشر السرعة، وشعوره هو الحركة، فالظلال تتهادى ببطء جواره كأنه لا يتحرك.

يضغط النفير في جنون وهو يردد آيات قرآنية. ينادي على مهاب، يناديني، ينادي أمه وأباه.. يقترب أحد الظلال أكثر من نافذة السيارة، ثم يلصق وجهه المقلوب فيها، ويضحك.

***

يسمع مهاب صوت النفير، ثم صوت طلقة رصاص. يتجمَّد مكانه، وينظر خلفه. لم يكن قد ابتعد كثيرًا بطبيعة حال المشي في الرمال. سيارة الدورية غيَّرت مكانها وتوقفت على بعد أقل من نصف كيلومتر.

- بندر! أنا آتٍ!

هرع مهاب يجري -وهو كما تعلمون مُنعدم اللياقة رغم رشاقته- والحقيبة على ظهره تُمثل حملًا أكبر عليه.

- بندر!

يعدو ويتعثر، يقوم ويكمل العدو.

- مهاب!

ضوء الكشاف يتراقص ويقترب من مهاب، يبدو أن بندر قرر مغادرة السيارة. يشق الحارس الظلام مُندفعًا نحو مهاب كأنه لا يراه. يتوقف مهاب وهو يشير إليه:

- أنا هنا يا بندر.. اهدأ!

لكنه لا يرى مهاب قبل أن تقل المسافة بينهما إلى متر واحد. وقتها يحدق إليه، ثم ينطلق نحوه ويمسك بكتفيه ويلهث:

- مهاب! مهاب.. لنهرب من هنا سريعًا.. ثمة.. ثمة غيلان هـ.. هـ.. هناك.. هناك حول السيارة..

- أين الغيلان؟ لا أرى شيئًا.. تعال..

يقبض مهاب على ذراع بندر وينطلقا نحو الضوء الذي يراه

الأخير. سأل بأنفاس مُتهدجة:

- نحن نفر من الغيلان إلى.. إلى حيث الصراخ المرعب. لماذا لا نفر في اتجاه ثالث؟

- بندر، أنا ذاهب إلى لاشين، ولا أظن أن افتراقنا عنه في مصلحة أي من ثلاثتنا. هو عنيد، لكني أعرف ما يترصد به، وأعرف أنه قد يكون في خطر، ولا أعرف كيف سأعيش لو فررت وتركته. تباطأ بندر للحظات مفكرًا، ثم صاح بمهاب أن ينتظره.

***

الشجرة عظيمة، لا أجد وصفًا لجمالها. المكان مُضيء لكنه ضوء يختلف عن أي ضوء أرضي. عن يمين الشجرة يقف الطائر الخرافي الطيب واضعًا قدمه على عنق الآخر الشرير. أنيس يجلس على الأرض هو وأمي، يتناولان طعامًا من طبلية. أهرع إليهما، أرتمي في حضنيهما. لماذا نخاف الموت إذًا؟!

أجلس معهما، ويطلبان مني أن أحكي لهما ما حدث منذ رحيلهما. أحكي، ويتجسد أمامنا ما أحكيه كأننا في مسرح.

- هذه هي سهير زاهر يا أمي..

تبتسم لمرآها، نشاهد حياتها، وكيف صارت أقوى.. وأكثر تعاسة. عمر يكبر ويكبر بداخله شيطان الرعب. الفرسان الأربعة يجوبون العالم وينشرون الخراب والوباء والحروب والمجاعات. أنا أقتل أمَّ القطط، فيهرب شيطان الرعب ويدمر حياة مهاب وحسن بقتله أخي الأول وصديق الثاني. شريف يترك عائلته لينضم إلى جيش ديهيا. أنا من عرَّفت مهدي أبركان على هذه العائلة، أنا من أدخلت الشياطين إلى حياتها. الشياطين تسعى خلفي، وحين أختفي يصيبها الحنق، ثم تكتشف أن زوالي يعني أن العالم سار مرتعًا لهم.

أسأل أنيس:

- هل من مفر يا أنيس؟ الحل في حياتي أم مماتي؟

- الحل في عدم الاستسلام يا أخي الصغير، وأنا أعرف أنك لن تستسلم. لكل شيء سبب، وأنت السبب والنتيجة، أنت المفتاح والباب..

عمر يكبر، يسيطر على العالم، أهرمان عن يمينه يُحرك مقاليد الحُكم. الحرب الأخيرة بدأت، وسرعان ما سيعود إبليس ليحصد آخر رؤوس البشر. سهير تصاب بالعمى حسرة على وفاة شريف وأسامة أثناء مجابهتهما لشيطان الرعب. رانيا تُجن.. ومهاب؟ مهاب يأخذ عهد الدجالين ويقرر الثأر بنفسه لأخيه، وبعد أعوام قليلة يجدونه في شقته ممزقًا.

تخطف الشياطين حسن إلى عالم الظلمات، حيث يقضي الأبدية يشاهد مشهدًا واحدًا، عمرو يعتصره شيطان الرعب حتى الموت. يقول أنيس وهو يُلصق رأسه برأسي:

- هذا هو العالم بدونك.. بدون أمل.

- لكني تسببت في كل هذا..

- وأنت قادر على إنهائه.

- ماذا لو فشلت؟

- ماذا لو نجحت؟

***

يقترب مهاب وبندر من مصدر الضوء، تدريجيًا يخفت صوت الصراخ، ولا يبقى سوى الضوء. مهاب ينظر حوله في حيرة ويتساءل:

- بندر.. أين نحن؟

- ألا ترى؟! هذا مرج.. بُستان.. لا أعرف.. واحة وسط الصحراء.

يرى مهاب جسدًا مُكومًا وسط الرمال، يدقق النظر وهو يوجه الكشاف نحوه، ثم يهرع إليه.

- لاشين!

يراني ممدًا على الأرض، يتحسس نبضي فيجدني حيًا:

- لاشين.. لاشين.. ماذا حدث بالله عليك؟!

يتقدم بندر منا وهو يراني راقدًا وسط الحشائش الخضراء. يضع إصبعه على الشريان في رقبتي، ثم يهز رأسه ويقول:

- لقد مات يا مهاب.

- لم يمُت! أنت لا تعرف كيف تقيس النبض!

يلصق مهاب وجهه أمام أنفي، ويشعر بأنفاسي. يعقد حاجبيه غضبًا.

- لا أفهم شيئًا. هل أنت مسحور؟!

- ربما أنت الذي لا ترى الحقيقة لسبب أو لآخر.

- من قال أن مرجًا وسط الصحراء هو الحقيقة؟

- لا تنس أننا في مدينة سحرية كما قال صديقك. أليس كذلك؟

- وهذا لا يعني قطعًا أنك لست موهومًا. السحر وهم.

- ليس كل السحر وهمًا. أنا وأنت رأينا أثر ما فعله صديقك بعصاه. الأرض انفلقت بالفعل.

مهاب لا يريد أن يصدق وفاتي، وبندر لا يجد مفرًا مما هما فيه سوى أن أموت أنا، فيستطيع الفرار مع مهاب دون تأنيب ضمير. يمكن أن يمكثا في ذلك المرج حتى الفجر. لا يبدو أن هناك من سيؤذيهم هنا. مهاب يحاول أن يضع كل ما حدث في نسق مفهوم. لماذا لا يرى ما أراه وما يراه بندر؟ أهو على حق أم نحن؟

سهير تستطيع رؤية الشياطين والآخرين لا يرونها، ومع ذلك الشياطين حقيقة. جلس مهاب يائسًا جواري وغمغم:

- لنظل هنا حتى الفجر. وإن كان لاشين قد.. رحل.. فلن أتركه هنا.

راح بندر يجول في المكان، ويأكل من ثماره الغريبة، بينما وضع مهاب رأسي على فخذه وقال:

- لاشين.. لو أنك حي أو ميت وتسمعني، أريد أن أقول لك أنك لست شيطانًا. أنت أكثر إنسانية من أي شخص آخر عرفته. أتعرف السبب؟ لأنك تصارع شياطين حقيقية وتنتصر عليها في كل مرة. تصارع نفسك، وتنجو في كل مرة بفضلها. روحك نقية يا.. آدم. لو أنك رحلت، فسندعو الله دومًا أن يُدخلك الجنة بلا حساب أو عقاب.

مسح مهاب عبرة نزلت من عينه اليسرى، ثم ابتسم

وأضاف:

- وحاجباك لا يجعلان مظهرك شريرًا. كنت أمزح فقط..

زمَّ شفتيه، ثم بلا تمهيد ضرب صدري بقبضته وهو يصيح:

- عُد يا صديقي! عُد يا آدم وإلا.. عليك اللعنة.. عليك اللعنة يا آدم لاشين.

***

أرى مهاب في مستقبل ما وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، يتمتم:

- عُد يا صديقي.. عُد يا آدم وإلا..

يُردد أنيس:

- عُد يا آدم وإلا..

أرى الضوء الباهر أمامي، ويختفي أخي وأمي. يقف الطائران عن يميني ويساري. أرفع نظري إلى الأعلى وأنا أقف على قدميّ. أضيق عينيّ وأنظر إلى الوجه الأبيض المُلتحي، وإلى هالة الضوء خلف رأسه. يفرد الكائن جناحيه، فلا أرى طرفيهما، كأن العالم كله صار هو.

- هل ترحل معي يا آدم؟

- هل ما رأيت سيحدث؟

- لا يعلم الغيب إلا الله، لكن لا شيء قد يمنع حدوثه إلا أنت. لكني أفهم أنك مُتعب يا آدم لاشين. أشعر بألم قلبك. أيًا ما ستختار، فأنا معك.

- أريد العودة..

- وستقبل مهمتك الجديدة؟

- مهمتي الجديدة؟

ابتعد الكائن الذي أظنه مَلَكًا، وضم كفيه معًا وهو يقول:

- يا آدم لاشين، أنت تعرف أنك من نسل مبارك، قادر على هزيمة الشياطين، قادر على مقاومة استحواذهم. أنت حاولت كثيرًا واجتهدت، وتمسَّكت بإنسانيتك حتى آخر لحظة، وهو أمر نادر الحدوث لمن هم مثلك. لقد مُنحت فرصة جديدة، علمًا جديدًا، أصدقاء جددًا. أنت ستكون محاربًا نموذجيًا يا آدم. لقد راقبت أجدادك منذ قرون، منهم من حمل التكليف وحارب الشياطين حتى آخر لحظة في حياته، ومنهم من غرَّته قوته وتمرَّد على خالقه مثل جمشيذ، ومنهم من انقلب علينا واتخذ الشيطان وليًا مثل الضحاك. لكني لن أكف عن المحاولة حتى أجد جندي الحق.

- الضحاك تمرد عليكم؟ أنتم..؟

- نحن الملائكة يا آدم. لقد صار الضحاك لعبة في يد الشيطان أهرمان، ومنحه قوة الحيّات الشيطانية التي بها يُضعفنا ويقيدنا إلى يوم القيامة.

- تلك المخلوقات التي رأيتها مقيدة إلى الجبلين..

- أجل. ملائكة.. لكنَّ الضحاك، وأعرف أنك تعرف هذا، ذا نفس لوَّامة. في لحظاته الأخيرة أمام أفريدون البطل -جدك الأكبر- طلب منه أن يقتله. لقد أكله الندم طيلة حياته واستسلم لعقاب الله، وقد رأيت أنه سيصلح أن يكون جنديًا صالحًا.

عرفت من الكيان المضيء الواقف أمامي أنه قيد الضحاك في المغارة وضرب عليه الرَّصد حتى يُطهره من شرور أهرمان، ثم بعد قرون، نقله إلى حيث كان حاكمًا طيبًا، وإلى حيث مدن الصحراء السحرية التي لا يستطيع أن يجده فيها شيطان. أطعم الضحاك مُخي ساحرين من الموالين للشياطين، وبهذا عاد الضحاك لقوته وفي جسده يسري سُم أتباع الأبالسة. صار المَلَك يستدرج الشياطين إلى الصحراء، ويضربها الضحاك بسُم أفاعيه.

- كان جنديًا للحق، وظل على هذا نحو خمسة وثلاثين

عامًا، ثم استكبر، وكأن ما بذره فيه أهرمان قد عاد. استكبر وطغا وراح يُطالب بما يروي ظمأه للثأر الشخصي.. راح يُطالب بنسل كل من أعانوا عليه أفريدون. رفض أن يقتل الشياطين، وأطلقها في الجزيرة. ما رأيت أنت هو آخر شيطان مسموم، وكان يحاول الظفر بك لأن جنسه يخشاك..

كان يحكي، وأرى ما يقول مُتمثلًا في عقلي. هل يُعقل أن يتمرد الضحاك بعد كل ما منحه له المَلَك؟ هل يُعقل أن يرفض مغفرة ما اقترفه في حياته السابقة؟!

سألته:

- وكيف كان يستدرج الشياطين إلى هنا؟

- بالحيلة يا آدم لاشين. بالحيلة. الشياطين كما تعرف تكره بعضها البعض، وبينهم جميعًا عداوات، فراحت الشياطين تستعين بالضحاك لقتل أعدائهم، فيجلبونهم له إلى هنا ليُسممهم.

- ثم؟

- ثم نقتل تلك الشياطين الخائنة ونكرر وما نفعل مع مجموعة أخرى. الكراهية هي ما تقتلهم.

- ثم في النهاية؟

- ثم في النهاية لا يبقى سوى إبليس.

- وهل سأقدر عليه؟

- معًا، سنقدر عليه. سيموت إبليس في يوم، ولا يوجد ما يمنع أن تكون أنت قاتله.

- وهل سأعيش حتى آخر الزمان؟

- ستعيش، لو كنت محاربًا حقيقيًا. لقد عاش أسلافك مئات الأعوام، ولا يوجد ما يمنع من أن تعيش أنت حتى آخر الزمان، أو حتى تخبرني أنك اكتفيت. أفهم ألم البشر حين يطول بهم المحيا ويشتاقون إلى الممات. أفهمك يا آدم لاشين.

اغرورقت عيناي تأثرًا. أشعر براحة لم أشعر بها في حياتي. أشعر بأن لي هدفًا، وأنني لم آتِ لتدمير العالم، بل لإنقاذه.

- لكن فكِّر في سهير، عمر، مهاب.. فكر في والدتك وأخيك اللذين غُدِرا.. فكر في الشياطين التي تجوب العالم ولا يقدر عليها إلا شخص واحد..

الحقيقة أن هذا الكائن يفهمني ويشعر بي. يضمن لي رضا الله وعفوه، يمنحني ما أستعين به على الشياطين دون مقابل.. دون مقابل؟

- ما مقابل مساعدتك لي؟

- لست بشريًا يا آدم لاشين. لا مقابل.. لا إجبار..

- والضحاك الذي يريد الثأر مني؟ هل سأهزمه؟

- الضحاك قد انتكس وعاد للشيطان الذي كان يُحركه. اعفُ عنه إن شئت، اطلب مني أن أفنيه لو شئت.. اقتله لو شئت.

- وشياطيني؟

- ستعود إليك قواها، لا أصلها. كما فعلنا مع الضحاك، فقد كانت حيَّاته قادرة على قتل الشياطين، وأنت ستكون قواك الشيطانية كما هي، لكن لن تكون شيطانية. ستصلي يا آدم لاشين دون خوف أو ألم. سيحبك الناس ولن يخافوا منك.

فكَّرت في أي شيء في كلامه قد يكون فخًا لي، لكنني لم أجد. أخيرًا سألته:

- هل سأعود إلى مصر؟

- ستعود لو أردت، لكن قتل الشياطين سيكون هنا، في تلك المدينة المخفية عن البشر والشياطين.

- إذًا.. سأعود.. اتفقنا.

***

في نفس اللحظة التي شهقت فيها وفتحت عينيَّ لأرى وجه مهاب وعينيه المحمرتين، كان بندر يهوى على ركبتيه وينظر إلى أعلى ويهتف:

- مهاب! هذا مَلَك!

نظر مهاب حوله متسائلًا. لم يكن يرى سوى الصحراء والضباب الخفيف والظلام. نظرت إلى جسدي فوجدته في خير حال، لكن ملابسي ممزقة ملوثة بالدماء والمادة السوداء اللزجة. نظرت خلفي فرأيت المخلوق يُمسد على رأس بندر ويقول له شيئًا لم أتبينه.

سألني مهاب:

- ماذا يحدث؟ كنت مُتأكدًا أنك لم تمُت!

- بل مت يا مهاب.. وعُدت. هذا مَلَك بالفعل.. ألا تراه؟

- مَلَك؟! هل جننتما؟!

رآني مهاب أقوم وأعلق حقيبتي على كتفي، ثم أتجه نحو بندر. أخرجت كل ما فيها أمام المَلَك، ورح يتفحص كل غرض بدقة، ثم قال لي:

- كل هذه الأشياء صنيعة الشيطان وأعوانه. لن تحتاجها يا آدم لاشين. أنت أقوى من كل تلك الصنائع التي يضلون بها

السحرة والدجالين.

هرع مهاب نحوي بعدما رآني أترك الحقيبة ومحتوياتها وأتراجع خلفًا في رضا. صاح مهاب:

- لاشين! صف لي هذا المَلَك.. صفه لي بسرعة.

نظرت إليه غير فاهم، لكنني وصفت له طوله، والهالة حول رأسه وجناحيه ورداءه.

- لاشين.. هذا مهر يا لاشين! ألا تذكر أيها الأحمق؟ مهر قدر على التلاعب بالعقول!

- أنت تخرف يا مهاب. إن كان هو مِهر، فكيف لم تتأثر بهلاوسه؟!

- لا أعرف.. لكني متأكد أنه ِمهر. انظر..

فتح حقيبته وأخرج منها ورقة مطوية، فتحها فرأيت لوحة بأقلام الفحم تشبه المَلَك.

- أرأيت؟ لا تتركه يأخذ أدواتك.. هو ليس مَلَكًا يا لاشين. لا أحد يعود من الموت إلا يوم القيامة. الملائكة لا تعقد اتفاقات مع البشر. هل جننت؟!

صاح بندر:

- بل أنت في ضلال يا مهاب. أنت لا تريد له الخير. هو قد عاش حياته ساحرًا كافرًا، والآن حين غفر له الله تستكثر عليه المغفرة. أنا أرى المَلَك وقد أخبرني أنني سأكون رفيق آدم لاشين لو أردت، وسأخلص العالم من الشرور معه، وقال لي أن هناك من سيخونه، وسيكون أقرب إليه من أي شخص آخر. أنت الخائن يا مهاب، لهذا فأنت لا ترى المَلَك. ارحل من هنا واتركنا وشأننا.

- أنا أخون لاشين؟ هل تصدق هذا يا لاشين؟ أتذكُر العيش والملح؟ لاشين؟

كان شجارهما بعيدًا عني رغم أنني أقف بينهما. ثمة شعور مزعج، شعور كالذي اعتدت أن أشعر به حين أكون في حضرة شيطان قوي. هناك شيطان في مكان ما هنا.. هزَّ مهاب كتفي كي أرد عليه، بينما شرع بندر يجذبني تجاه المَلَك وهو يهمس لي:

- لاشين.. لا تستمع إليه. هذه فرصتنا كي نكون ذوي فائدة للعالم. لاشين.. لقد عشت حياتي أعمل ما أحب سرًا، أعاني سوء أحوالي بسبب احتياجي للعمل. أنا أفضل من يصاحبك في رحلتك.. أنا أعرف الكثير من..

- صمتًا..

قالها المَلَك برفق، ثم أشار إلى مهاب وأردف:

- يرحل الخائن الآن، أو يموت..

قلت لمهاب وأنا أناوله محفظتي:

- ارحل يا مهاب. عُد إلى السيارة وامكث فيها حتى الصباح، ثم سافر إلى مصر. استخدم بطاقة الائتمان الخاصة بي. لا تبحث عني مرة أخرى وانسوا كل شيء عني.

- لن يحدث هذا يا لاشين. ستأتي معي. لن أتركك لهذا الـ.. الكائن.

كان مهاب يرى ضوءًا باهتًا حيث كان المَلَك، ويسمع أصواتًا مُتقطعة، لكنه لم يرَ ما نرى، ولم يكن يهمني أن يرى. هذا الشاب بريء ولا.. ذلك الشعور المزعج مرة أخرى.. ثمة شيطان من مرتبة عليا هنا.. قلت للمَلَك:

- أشعر بوجود شيطان هنا..

- لا يوجد شياطين إلا المأسورين يا آدم. أتراك تشعر بهم؟

- كلا.. ليسوا هم.. ليسوا هم..

- لا تقلق.. أقنع صديقك أن يرحل. سأعود لك..

ضرب بجناحية فاختفى، وتركني وبندر ننظر تجاه مهاب

الذي قال:

- ماذا قال؟

- رحل. ويجب أن ترحل أنت.

- لاشين، بندر.. هذا الكائن لا يضع في عقليكما وهمًا فقط، بل يقنعكما به. هو يتلاعب بكما..

اندفع مهاب يأخذ حقيبتي ويعيد إليها محتوياتها، فهجم عليه بندر يمنعه. أصيح فيه كي يكف عنه فتُحبس الكلمات في حلقي. عقلي مشوش للغاية، أسمع شياطيني تهمس لي..

«أهرمان هنا.. أهرمان هنا..»

شياطيني؟ هل ما زالت موجودة؟!

أنظر إلى أسفل فلا أجد جسدي، بل جسدًا آخر جافًّا كالمومياوات، يرتدي خرقة تغطي سوءته ومن فوقها حزام جلدي ذو فراء فضي وأسود، مرسوم عليه رموز متماثلة الشِّقين، وكتابة أخرى بلغة الأنوناكي، تلك الحروف التي يدعون أنها كتابة الملائكة.. صوت لكمات وضربات، شيء يتهشم ثم صرخة.. أشعر بالضعف، بالجوع..

صوت عميق شرير يهمس في أذني:

- بيورساب.. أوحشتني يا صديقي.. هل عرفت الآن..

***

-.. أن رفيقك القديم أهرمان كان رفيقًا بك؟ هل حبستك يومًا أيها الملك العظيم؟ هل قيدت حُريتك؟ هل منعت عنك طعامك المُفضل كما منعك عنه اللعين مِهر؟ هل استغللتك ومسحت إرادتك وحبستك في جزيرة منعزلة بعيدًا عن عرشك؟

كنت مُعلقًا بين عمودين حجريين فيما يشبه الحصن. جسدي أسود جاف، مفاصلي لا تتحرك حتى أن فكي لا ينفتح. بالكاد تدور عيناي إلى الواقف يهمس جواري. رجل ضخم سمين يُصفف شعره إلى الخلف، وله تلك العينين الواسعتين والأنف الطويل المميز للإيطاليين، وكان يتحدث فيصل حديثه إلى عقلي مباشرة.

- لكني -أقسم لك بأُهرا مازدا وكل الرفاق المُلتحين بالأعلى- أنني لم أكن أعرف أين سجنك مِهر، ولا أعرف أنه نقلك إلى هنا إلا اليوم. هل ستصدق أنني، أنا أهرمان، قد تآمر الشياطين عليّ وباعوني لك ولمِهر؟

حاولت أن أسأله عن التفاصيل، خرج صوتي واهنًا، ولساني عجز عن الحركة من الجفاف:

- تبدو لي مثل السمك المجفف يا صديقي. لا عليك. سنعيد

معًا تلك الأيام التي كنت تصطاد فيها الكائنات السماوية اللعينة وتُسممها وتُقيدها إلى الجبال من أجلي. أنت سلاحي، ولأجل صديقك أهرمان ضحيت التضحية الكبرى وقتلت أباك. السم الذي يسري في حيّاتك هو دمي الثمين، والأمخاخ التي كنت أطعمها لك هي ما أمدتك بالعمر المديد. ثم أتى ذكر البط المُجنح هذا ومنعني من إنقاذك من أفريدون، ثم قيدك في المغارة ومنعني من الوصول إليك. أهذا هو حزام الأسد السماوي؟

مد يده نحوه، فضربها الجفاف واسودت. تراجع ألمًا، ثم أمسك بكفه وانخرط في الضحك.

- قيد رائع بالفعل. هو ما منح حيّاتك القوة على قتل الشياطين، أليس كذلك؟ لكنه أبقاك أسيرًا. كيف أقنعك يا بيورساب العظيم أن تقتلنا؟ كيف أنساك أن ثأرك الحقيقي مع نسل أفريدون ومن عاونه؟ أفهم أنه أغراك بقتل الشياطين لحسابه، فهو لن ينسى أبدًا الحروب القديمة بيننا وبين مخلوقات السماء ووعدك بأن يسلمك رأسي في النهاية، أليس كذلك؟

ضحك أهرمان، ثم شمّر كُمي القميص الأحمر اللامع الذي يرتديه، فرأيت كفه تعود سليمة مرة أخرى.

- سأحررك.. لنعقد اتفاقًا يا صديقي، سأحررك وتظاهر بأنك

ستخضع لِمِهر وستنفذ كل ما يطلب منك، ثم أحضر لي صولجانه، وسأسلمك حفيد أفريدون. ما قولك؟

هززت رأسي موافقَةً. كنت أرى وأسمع وأشعر كبيورساب، وعرفت أنه غاضب، يشعر بالكراهية تجاه هذا المخلوق أمامه، ويشعر بالكراهية تجاه مِهر، وتجاه نفسه. انقض أهرمان على الحزام يُمزقه وقد نمت له مخالب سوداء مقوسة. كانت يداه تتضرران مع كل هجمة، لكنه يعود ويكرر محاولاته وهو مغمض العينين، حتى سقط الحزام تحتي. راح ينظر إليه ويُدقق النظر، وكلما دقق النظر شعر بحيرة وتحرَّكت عيناه يُمنة ويسرة. شكل الحزام والنقوش عليه تُربكه.

أخيرًا، ركع على الأرض وبصق، ثم راح يجمع الغبار على شكل حلقة، تحوَّلت تدريجيًا إلى شكل شِبه مطابق للحزام، إلا أن النقوش لم تكن مماثلة تمامًا.

- سترتدي هذا، نسخة بريئة من الحزام نخدع بها مِهر. لكنك تعرف يا صديقي ألا مخرج لك من هنا إلا معي. وإن قررت خيانتي، فأنا أعرف الآن أكثر مما كنت أعرف منذ آلاف السنوات، وأنا قادر على العثور عليك كما عثرت عليك اليوم وأنت في مدينة مُسيجة مخفية. أهرمان يتقدم في العمر ويصير كالخمر المُعتق!

كنت أنا على الأرض، بينما حيّاتي تتدلى على جانبيّ. أشعر بتحسن نوعًا بعد خلاصي من القيد، لكني بعدُ واهن للغاية.. بائس.. غاضب..

الماء يتجمع في بركة صغيرة أمامي، لا أعرف من أين يأتي، لكنه يتسرب من بين أحجار الأرضية. يقف أهرمان خلفي ويثني عنقي كي أرى انعكاس وجهي في الماء. ياللبشاعة! أغمض عينيّ، يعتصر قمة رأسي بكفه ويقرب فمه من أذني، فأشم رائحة مقيته.

- انظر يا بيورساب العظيم ما فعل بك مِهر. انظر ولا تنس ما ترى أبدًا. لا أطلب منك الكثير، فقط صولجان مِهر، ودمه المُهدر.

هززت رأسي موافقًا. أذكر كيف أخرجني مِهر من الصندوق الذي نقلني فيه من المغارة بعد أن حبسني فيها قرونًا حتى أتخلص من سموم أهرمان، وأفكر في كل بشري قتلته كي أطعم الحيّتين. حين تجسّد أمامي لم يخطر ببالي سوى أنه رسول أُهرا مازدا لهدايتي. قال لي أن خالقي قد غفر لي ما فعلت، وقد جاء دوري لأنتقم من عدوه أهرمان الذي مسخني، وأن أستخدم سلاحه ضده وبنيه. أذكر كيف أمضيت قرابة أربعين عامًا آكل أمخاخ السحرة وأسمُّ الشياطين وأعذبهم، وفي كل يوم أسأل مِهر: هل إلهي راضٍ

عني؟ يجيبني: نعم. أسأله: ألم يحن وقتُ قتْل أهرمان بعد؟ يجيبني: ليس الآن.

حتى جاء يوم رجاني أحد الشياطين أن يتحدث قبل أن أفنيه، قال لي أنه كان يعمل لحساب مِهر منذ عشرين عامًا، يستدرج الشياطين من أعدائه وأعداء رفاقه إلى هنا كي أقتلهم، بينما يعدهم مِهر أن يقتل أهرمان إن أرسلوا له المزيد من الشياطين. وحين لم يجد الشيطان ورفاقه من يُسلمونه لمِهر، سلمهم لي وراح يبحث عن غيرهم. هو لم يكن يخطط قط لقتل أهرمان، لا لأجلي ولا لأجل نفسه. مِهر يظن أنني لا أقدر على قتل أهرمان، وأهرمان يظن أنه غير قادر على قتل مِهر. ميزان القوى مُتأرجح الكفتين يقصم ظهري، وبلا جدوى.

والآن يعود أهرمان ليلعب لعبته القديمة معي. أقتل له مِهر مقابل حفيد أفريدون..

- هيا يا بيورساب العظيم..

قالها وانحنى يُقبل مِنكبي.. الحقيقة أنه لم يكن يقبلهما، بل يغرس أنيابه فيهما ويبث في الحيتين الحياة. ترفعني اللعينتان، ما زال جسدي جافًّا، ينتظر وجبته القديمة، لكني الآن أستطيع الحركة نوعًا، أستطيع الحديث. سمعنا صوتَ حفيفٍ قويًا، ثم من النافذة الضخمة رأيت مِهر يدخل. وقف

أهرمان فوق الحزام الأصلي وضمه بين حذائيه.

- أهرمان اللعين.. كيف تجرؤ؟

- بل كيف جرؤت أنت على سيدك، سيد النار، مُفسد الملوك. كيف جرؤت وأخذت مني صنيعتي؟ أرى أنكم أضعف من أن تخلقوا تحفة كالضحاك. أضعف من أن تقفوا أمام أهرمان أيها الطيور المتعجرفة.

يمد أهرمان يده لي، ويقول:

- لنرحل من هنا.

يرفع مهر صولجانه الذهبي، وأدرك أن الصولجان هو ذراع مهر نفسه. يهدر صوت مِهر:

- اقتله يا بيورساب. اقتله.. هذه هي فرصتك الأخيرة كي أعفو عنك. اقتله وسأمنحك عشرة أمخاخ، بينهم مخ حفيد أفريدون..

يتخبط أهرمان، ويحاول الفرار، لكن ضوء الصولجان يؤلمه. أخيرًا، يصيح أهرمان:

- لن تقتلني يا ذا الجناحين، فرقصة التانجو رقصة بين اثنين.. سأعود يا ضحاك..

يشير أهرمان بالحزام تجاهي، ثم يختفي معه. يقترب مني

مِهر غاضبًا:

- أنت بلا فائدة.. لا مغفرة لك يا بيورساب، إلا إذا اتبعت تعليماتي. سأعيد إليك قوتك..

سألته وأنا مُتدلٍ بين الحيتين:

- ستطعمني الأمخاخ؟ ستقيدني بحزام جديد، أم ستخدعني مجددًا وتقنعني أنك مبعوث الإله؟

- أنا لم أخدعك. أنت قتلت الشياطين، أعداءك

- وأكلت البشر، إخواني.. وإن كانت حياتي تشتهي الأمخاخ، فلا أحتاج إلى أمخاخك.

بكل غضبي وحنقي، بكل يأسي وندمي، أضرب رأسي في العمود الحجري ضربة لم أعِ أنني أملك القوة لها. للحظة لم أشعر بشيء، وللحظة تالية لم أر إلا الحيَّتين تنقضان على مخي..

***

أظلمت عينيّ لثوانٍ، ثم عاد إليّ بصري حين سمعت صوت شد أجزاء سلاح. بندر يصوب مُسدسه نحو مهاب الذي يزحف على الأرض تجاهي ويهمس في وهن:

- اهرب يا لاشين.. انتقل من هنا فورًا..

- مهاب؟!

- لن أتحمل الانتقال معك.. لن يتحمل عقلي..

- لن أتركك..

يعود مِهر طائرًا، ثم يحط أمامي. هذا ليس مَلَكًا.. هذا.. هل ما رأيته هلاوس أم أن الضحاك الذي يكرهني يضللني كي لا أقبل بعرض الـ.. المَلَك؟

ما زلت مشوشًا.. هل أضيع فرصة عُمري..

يقول بندر من بين أسنانه:

- الموت للخائن..

يقول مِهر:

- هيا يا آدم.. اتركهما لاختيارهما.. هيا بنا.

يأخذ مهر حقيبتي، ثم يتراجع إلى الخلف وهو يحدثني برفق وابتسامة صافية:

- هيا يا آدم لاشين.. أهرمان هنا، لديك حق.. هيا نقاتله معًا.. هيا يا آدم..

أنظر إلى المسدس في يد بندر، وإلى عيني مهاب اللتين ترجوانني أن أرحل. يخرج مِهر من عباءته مِقمعة ذات رأس

منقوش على هيئة بقرة ويقول:

- هذه هي أول منحي لك. مقمعة جدك الأكبر، أفريدون البطل. بها تستطيع قتل الضحاك.. هيا ..

يرتجف بندر فيرتجف المُسدس في يده، العرق البارد يغمر وجهه.

- لاشين.. أرجوك.. أنا أحتاج هذه الفرصة.. أحتاج أن أكون إنسانًا ذا فائدة، لا مجرد حارس لا يقدر حتى على دراسة الآثار. أنا أعرف الكثير يا لاشين ولا أستطيع أن أستغل أي مما أعرف لأنني.. لا شيء.. أنا لا شيء..

يخطو خطوة مترددة تجاه مهاب، ينظر بندر نحو مِهر ويهمس:

- خذني أنا بدلًا منه.. أنت مَلَك وقادر على أن تمنحني القوة.. دعك منهما.

- الموت للخائن يا بندر. لا أراك مؤمنًا كفاية.. السلاح يهتز في يدك. أثبت نفسك لي..

يقترب بندر بخطوات سريعة نحو مهاب، يصوب المُسدس نحوه ويتحرك إصبعه على الزناد، فأقبض على ذراع مهاب وأنا أرى النار المُنفجرة من فوهة السلاح، ثم أختفي معه..

وأسمع صوت الطلقة..

خاتمة

أبريل ٢٠٢٢

مستشفى (...) الاستثماري بالقاهرة.

تجلس والدة مهاب وإخوته حول فراشه في المستشفى، ينظرون إلى وجهه المُضمد، ويحاول هو أن يبتسم لهم. ثم تدخل سهير وأسامة وشريف، فينظر إليهم مهاب نظرة خاوية، ويجذب الغطاء على صدره ليداري المنامة.

تقول والدة مهاب:

- هذه هي سهير زاهر، وهذا الدكتور أسامة الصاوي زوجها، وهذا شريف ابنهما. ألا تذكرهم؟ برنامج بعد منتصف الليل؟

يهز مهاب رأسه نفيًا في حرج. يقول أسامة:

- لا عليكِ يا سيدتي. المهم أنه بخير. سيتذكر كل شيء قريبًا. ربما هي صدمة ما رأى فقط.

- الله كريم. هو يذكرنا، حمدًا لله.. لكنه لا يذكر... لقد أخبرت مدام سهير.

مهاب فقد الذاكرة جراء نقلي له للمرة الثانية، ولا يذكر أن عمرو قد مات، ولا يعرف شيئًا عن شيطان الرعب ولا برنامج

بعد منتصف الليل ولا أي شيء تلا ذلك. ثم بعد دقائق، يتذكر وفاة عمرو وشيطان الرعب والبرنامج، وينسى أمه وإخوته الآخرين. حالته غير مُستقرة وتخالف ما هو مألوف طبيًا، لكن ما بيد أحد حيلة. يقول مهاب:

- أذكر أنني كنت أحضر لبرنامج تُذاع فيه قصص رعب، وأعرف سهير زاهر فقد قرأت كتابها، لكني لا أذكر قط أننا تحدثنا. هل سأتذكر كل هذا؟ ماذا قال الأطباء؟

تقول سهير وهي تغالب دموعها:

- يقولون أنها مسألة وقت..

يقول الأطباء أن مخ مهاب سليم تمامًا ولا يوجد ما يُسبب فقدان الذاكرة إلا أن يكون قد تعرض لصدمة نفسية، أو كما يقول أسامة:

- فقدان ذاكرة هيستيري. سنذكره بكل شيء. نحن هنا جميعًا لأجلك يا مهاب.

ظل شريف صامتًا، ثم استأذن وخرج إلى الرواق. أرسل لي رسالة نصية يسأل عن مكاني، فقلت له أنني في المستشفى.. كنت جالسًا هناك عند نهاية الرواق، أتحاشى مقابلة سهير وأسامة. قابلت والدة مهاب وحكيت لها كل ما حدث بصدق، وحكيت لها شجاعة ابنها، وأنه كان يعتبرني صديقًا بحق.

ووعدتها أنني سأفعل كل ما يمكن كي يسترد ذاكرته. لم ترد عليّ، فقط ربتت على كتفي ورحلت.

جلس شريف جواري وقال:

- لا تقلق. لن ألومك.

- لُمني.. لم يعد شيء يهم.

- كيف ستعيد لمهاب ذاكرته؟

- سأبحث عن حل.

- هل أستطيع أنا أن أشفيه؟

- حاول..

- لكني لا أعرف شيئًا عن تحكمي في قدراتي. هل تعرف زوهريًا يُدربني؟

- ليس مهدي أبركان.. رجاءً.

- وجهني إلى بديل ولن أتصل به.

- سأبحث.. أعدك.

فتح شريف ملفًا على هاتفه المحمول وقال وهو يدعوني كي أنظر:

- أعددت هذا الملف أنا وأمي عن مخلوقات السماء. بحثنا كثيرًا وسألنا متخصصين في الأديان الوثنية والميثولوجيا وعلم الإنسان. عصر الإنترنت يقرب المسافات كما تعرف.

- ووجدتما..؟

- كيانات السماء، أو سكان السماء، هم مخلوقات مُجنحة تعيش في سماء بُعد آخر. منذ قديم الزمان وبينهم وبين الشياطين حروب، وبعض سكان السماء استغلوا البشر وأقنعوهم أنهم ملائكة أو حتى آلهة. لهم قدرات خارقة أهمها التلاعب بإدارك البشر وقوتهم على استغلال إيمان البعض في صفهم ضد الشياطين. أغلب الحضارات رأت تلك المخلوقات وتباينت تفسيراتهم بين المخلوقات الفضائية والملائكة والشياطين والآلهة و.. و.. بعض الرسوم القديمة التي تناولت ظهورهم أسيء تفسيرها. نحن نعرف يقينًا أنهم ليسوا ملائكة.. لا خَلقًا ولا خُلُقًا.

- لن تصدق أبدًا قوة تلاعبهم، لن تصدق كيف يعرفون ثغراتنا وينفذون منها.

ضغط شريف زر الإرسال فأصدر هاتفي أزيزًا يعلن وصول الملف لي.

- تُرى هل سيعود مِهر لينتقم منك؟ ترى هل ترك الجزيرة

وشأنها؟

فتحت الملف ورحت أقلب صفحاته وأنا أقول:

- لا أعرف. لكني لن أترك محتويات حقيبتي معه. ما هذا؟ الطائران اللذان رأيناهما..

- من مخلوقات السماء أيضًا. يستغلونهما لأداء المهام الدنيا. أعتقد أنه أرسل واحدًا منهما لخطف سيارتكما إلى داخل المدينة المُسيجة.

- كل شيء قد وضح.. إلى حد ما.. شكرًا لكم..

- شكرًا لك لتوليك مصاريف علاج مهاب. أنت تعرف ظروفهم..

- هذا أقل ما يمكنني عمله. هذا لا شيء على الإطلاق مقابل ما فعله مهاب. كان عينيّ حين كنت أعمى.. كان عقلي حين جُننت.

- نحن جميعًا معك، لكن امنحنا وقتًا. هذه عائلتك، وأنا ومهاب أخواك.. لو قبلت هذا.

قام شريف متجهًا نحو الكافيتريا. حين انفتح باب حجرة مهاب نقلت نفسي إلى طابق علوي كي لا يرونني. في المساء، وحين انتهت فترات الزيارة، تجسدت في حجرة مهاب

النائم. ملت على أذنه وهمست:

- أعرف أن حاجبيّ يُعجبانك يا مهاب، لكنك تغير من وسامتي لا أكثر. عُد يا مهاب.. عُد يا صديقي..

شعرت بتواجد شيطاني، فالتفت خلفي. هذا هو أهرمان بجسد عائله الضخم المُمتلئ.

- لاشين.. يالرقة مشاعرك.

- ماذا تريد؟

- الحزام معي. لنعد إلى اتفاقنا الأول، الحزام مقابل صولجان مهر.

- أعرف أن رقصة التانجو لا تُرقص بثلاثة راقصين.. أبدًا.

- وميزان القوى بكفتين فقط. أنت معنا أو ضدنا. أنت إنسان أو شيطان. لا يوجد حلول وُسطى.

- أنا الحل الوسط.

- مثل الضحاك؟ مسخ؟

- سآخذ شجاعته فقط، ولن أمنح نفسي لأي من الطرفين.

- عمومًا، أنت من يريد الحزام، أما الصولجان فلم يثر شهيتي منذ عشرات الآلاف من السنين. ما زال ذو الريش

عاجزًا عن قتلي. أريفيدتشي.

ودَّعني بالإيطالية المُفتعلة التي يقحمها في حديثه، ثم اختفى. اللعين لم يكن في عالم الظلمات حين استحضرته، بل جاءني من عالم البشر، وترك عائلَه جثة فارغة في الخارج ليسكن في الخنزير. وحين رحلت، ظل يضرب جسد الخنزير في الحوائط حتى قطع رأسه وخلع حزام الأشواك وأزال الدمغات، ثم عاد إلى عائله واختفى.

هذه قوة جديدة لم أرها في شياطين من قبل.

أنا أتعلم، إذًا فأنا حي. سأبدأ من جديد دون عصا أبي وتعاويذه، لكن حمدًا لله، فحزام ديهيا كان مع مهاب، وما زالت مسبحتي وساعتي معي، وبيتي عامر بالكتب.

سأحيا.. وسأتعلم.

تتمة

استيقظ مهاب قُبيل الفجر وتلفَّت حوله، فلم يرَ سوى الظلام. بدأ يتذكر نوعًا ما حدث في الجزيرة الحمراء، مجرد مشاهد متفرقة لا أكثر، تعود ثم تختفي وسط ذكرياته العادية. تجربة التفكك والانتقال قد خرَّبت شيء في عقله.

يستدير ثم يتمدد نائمًا على جانبه الأيسر. ضوء القمر يشرق على وجهه. يهمس:

- ماه زيباست..

---

(1) الكتاب الثالث: كاهنة الأوراس

(2) موراخيا، من سحرة فرعون تستطيع صنع الأوهام وسحر الأعيُن ببراعة. ذُكرت في الكتاب الثالث كاهنة الأوراس

(3) لمن لم يسمع الحلقة العاشرة من الموسم الثالث من برنامج بعد منتصف الليل، اضطررت لتمثيل تسليم عمر لشياطين خطرة كي أعيد أحد أمراء فرسان الشياطين الأربعة إلى عالم الظلمات، الفارس الأبيض فارس الوباء، وقد تضرر عمر من تقييدي له بأحزمة الشوك، ولم تغفر لي سهير وقتها نيتي الحسنة.

(4) كتاب أبناء ديهيا، ذكرت فيه معاناتي مع الصلاة، لكنها كانت معاناتي قبل أن ألتهم شياطين أقوى.

(5) الشاهنامه سيرة ملوك الفرس تأليف أبي القاسم الفردوسي- الفقرات من ترجمة سمير المالطي ١٩٧٧

(6) الحلقة العاشرة من الموسم الثالث من برنامج بعد منتصف الليل على تطبيق أوديوهات

(7) الزوهريون هم أنصاف بشر أنصاف جان، وقد أوضح مهدي أبركان كل شيء عنهم في مكالمة لبرنامج بعد منتصف الليل الموسم الثالث، ومنه تعرف إلى شريف ابن سهير زاهر وعرف منه شريف أنه هو نفسه زوهري، حفيد الشيخ زاهر الزوهري مُريد الصالحين، والذي ورثت منه سهير ورانيا مواهبهم كذلك.

(8) نفس الحلقة التي أشرت لها من قبل، العاشرة، الموسم الثالث. ليس ذنبي أنكم لم تسمعوها، لكني سأحكي لكم ما حدث فيها في وقت آخر، وحتى هذا اليوم، تجاهلوا الإشارة إليها.

(9) رحلة اليابان ذُكرت بالتفصيل في الحلقة الأولى من الموسم الثالث من برنامج بعد منتصف الليل، على تطبيق أوديوهات. في كتاب لاحق سأحكي لمن لم يسمع الحلقة هذه الرحلة بتفاصيل أكثر.

(10) EXOUSIA وتعني العهد باليونانية

(11) في المعتقدات الفارسية، يُكتب اسم الكائنات الشريرة مقلوبًا لإهانتها.

(12) اللعنة على الأفلام التي خيَّلت لي أن هذا ممكنًا

(13) الحلقة العاشرة من الموسم الثالث من بعد منتصف الليل.

سأحكي لكم ما حدث لاحقًا، بعد أن أنتهي من الحكايات التي لم تسمعوها من قبل.

(14) مخلوق مُجنح له جسد حصان ورأس نسر من روايات هاري بوتر

(15) The witch's/ wizard's ladder

مسبحة شائعة الاستخدام في السحر المعاصر، وهي مستوحاة من مسبحات وثنية أقدم غرضها عد الترانيم الوثنية، ويستخدمها السحرة المعاصرون في استقطاب قوى الطبيعة واستخدامها لصالحهم.

مسبحتي صنعها أبي من ضروس السحرة الذين قتلهم في حياته، وتسكن فيها قوى الجن الذين كانوا يعاونونهم.

(16) أرمينيا حاليًا.

(17) من قرأ منكم الكتاب الثالث: كاهنة الأوراس يعرف أن جدي الاكبر هاجوب لاجين أرميني، وقد تزوج ديهيا وغدرت هي به.